ثقافات

جريدة ثقافية شهرية تصدر عن مؤسسة
المدى للاعلام والثقافة والفنون

500 دينار

العدد(59) السنة الخامسة– أيار 2014
NO. 59- MAY- 2014

32 صفحة

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

مهدي محمد علي: الشعر قنديلاً يضيء دروبي 12

تلوينات الحياة الرافدينية 27

في مقابلة اجرتها الفيغارو مع مترجمة اعمال ماركيز الى الفرنسية :

غابرييل غارسيا ماركيز كان ضمير امريكا اللاتينية

ترجمة : عدوية الهلالي

بعد وفاة الكاتب الكولومبي الشهير والحائز على جائزة نوبل للاداب غابرييل غارسيا ماركيز في السابع عشر من نيسان الجاري ، التقت صحيفة الفيغارو الفرنسية بالمحررة المتخصصة في الادب اللاتيني (آني مورفان) والتي اختارها ماركيز لتكون المترجمة الوحيدة لاعماله الى اللغة الفرنسية لغرض تسليط الضوء على حياة الكاتب وعلاقتها معه ..

تقول مورفان انها التقت ماركيز للمرة الاولى في عام 1981بعد ان طلبت منها مجلة (لانوفيل اوبزيرفاتوار) ترجمة احدى قصصه التي تتحدث عن عيد الميلاد ضمن سلسلة القصص التي طبعتها المجلة بمناسبة اعياد الميلاد ..ولأنه كان يعيش في باريس آنذاك فقد حصلت مورفان على موعد معه في فندق رويال بونت حيث قام الاثنان بمناقشة ترجمتها لقصة ماركيز على مدى اربع ساعات ضمن مقابلة وصفتها مورفان بأنها مذهلة لما جرى فيها من نقاش رائع حول اللغة والترجمة .. منذ تلك اللحظة ، قرر ماركيز اعتماد مورفان كمترجمة وحيدة لأعماله الى اللغة الفرنسية وكانت البداية مع رواية (الحب في زمن الكوليرا) ثم اعقبتها بترجمة بقية اعماله ..

هل كانت التجربة صعبة مع اعمال ضخمة كاعمال ماركيز ؟

- حاولت ان استخرج الموسيقى الكامنة في جمله ..مع كل وقفة وكل نقطة او فارزة ومع كل توصيف او تشبيه ، كنت اتوقف لاعيد رسم ايقاع الجملة فقد كان ذلك مهما جدا في نظري يضاف الى ذلك التناغم والصوت وطريقة نظم الشعر..لقد امضينا وقتا طويلا في العمل على رواية (الحب في زمن الكوليرا) وبعدها استدعاني ماركيز الى كوبا حيث جلس هادئا وقد اغمض عينيه طالبا مني قراءة الترجمة ومنصتا لي بامعان ..كان ماركيز يتحدث الفرنسية بطلاقة وعندما كان يقتنع بترجمتي يهتف (احسنت ..احسنت) ..شعرت وقتها انه كان يتذوق الاشياء ويتعرف عليها باذنيه ..

نوبل للآداب تحولا كبيرا في حياته خاصة وانه كان خجولا وليس اجتماعيا ..وفما يتعلق بالشهرة والسلطة فقد كان موقفه من ذلك طفوليا تماما لأنه كان مفتونا وسعيدا بمقابلة المشاهير في محيطه لكنه رغم ذلك ظل يهوى الهدوء والعودة في نهاية الامر الى ركنه المنعزل ..

لكن ذلك اصبح مستحيلا بعد قضية كوبا ..اليس كذلك ؟

- نعم ، لقد تدهورت علاقته بالصحافة بسرعة في تلك الفترة اذ لم يفهم الناس ارتباطه بأمريكا اللاتينية وضاعف من ذلك خطابه الذي القاه لدى تسلمه جائزة نوبل فقد اتهمته الصحافة وقتذاك بابقائه على صداقته للديكتاتور المتعطش للدماء رغم ان ذلك لم يكن له علاقة بالتزامه الشخصي او ادبه كما ان ماركيز لم يكن من مؤلفي الادب الملتزم لكنه اصطدم منذ تلك اللحظة بتغير نظرة النقاد الى اعماله وعانى كثيرا من ذلك ..

كيف كانت مكانة ماركيزفي ادب القرن العشرين ؟

- اعتقد بأن ادب امريكا اللاتينية حقق وجودا لأن ماركيز كان كاتبا لاتينيا ..صحيح ان هناك من سبقه ومن جاء بعده ، لكن ماركيزاحدث انقلابا في الادب اللاتيني باسلوبه الفريد وطريقته في سرد الاشياء ..يوجد اتساق غريب في عمله وفي فكره الادبي كما ان اعماله جميعا كانت تتحدث عن كولومبيا وعن امريكا اللاتينية وعن القوة والعنف والتاريخ ..

لقد كان لدى ماركيز تصلب وعناد مطلق مع نفسه ففي نصوصه المكتوبة بشكل رائع ، لايمكن ان تجد نقطة او فارزة قابلة للتغيير ، اما عند قراءتها فسوف يتولد لديك انطباع بأنك امام عمل متكامل وهذا لايتحقق مع الكتاب اللاتينيين الآخرين بالضرورة مثل فارغاس ليوسا او فوينتس ..

لقد قال ريجيس دوبريه شيئا دقيقا عن ماركيز حين وصفه بأنه (فيكتور هيجو) آخر مشددا على انه وكما كان فيكتور هيجو بالنسبة لفرنسا ، فقد كان ماركيز ضمير امريكا اللاتينية ..

ذات مرة ، قال ماركيز ان الشهرة سقطت عليه فجأة ولم يكن يبحث عنها او يرغب فيها ؟

- لقد احدث نجاح رواية (مائة عام من العزلة) ورواية (وقائع موت معلن) ثم حصوله على جائزة

10 اقتباسات أقوال ماركيز الروائية

ناتو

قامت صحيفة"الديلي تلغراف" اللندنية بنشر 10 إقتباسات من أقوال الروائي الكولومبي الأشهر غابرييل غارسيا ماركيز الذي توفي مؤخرا عن عمر 87 عاما إستذكارا منها لواحد من أعظم كتاب القرن العشرين المنصرم والذي تلاه والأكثر شعبية في الأدب الإسباني منذ ميغيل دي سرفانتس في القرن السابع عشر ، الإقتباسات هذه هي كلمات قصيرة تضمنتها رواياته الشهيرة وبعض المناسبات التي احتضنتها كلماته انتخبتها الصحيفة لتبيان عبقرية ماركيز وحكمته من خلالها:

1 - قد تقولون هذا مجنون ، لكنه ليس بمجنون إذا تقبلتم أسباب جنونه. (الحب في زمن الكوليرا).

2 - ما يهم في الحياة ليس هو ما يحدث لك ، ولكن ماذا ستتذكر وكيف ستتذكر ذلك. (مائة عام من العزلة).

3 - إذا كنا تعلمنا شيئا معا من الحكمة فإنها تأتي إلينا عندما لم نعد قادرين على القيام بشيء ما. (الحب في زمن الكوليرا).

4 - الكاتب الذي يريد الإستمرار في الكتابة لابد من الدفاع عن نفسه باستمرار ضد الشهرة. (عشت لأروي).

5 - أنا لا أؤمن بالله ، ولكني أخشى منه. (الحب في زمن الكوليرا).

6 - بعد سنوات عديدة من مواجهته الإعدام رميا بالرصاص ، العم أوريليانو بوينديا لم يبق في ذاكرته إلا كيف أخذه والده بعد ظهر يوم بعيد لاكتشاف الجليد. (مائة عام من العزلة)

7 - فيدل كاسترو رجل ضرب مثلا عاليا في التقشف وكانت أحلامه بعيدة في تحقيق التعليم الذي ينشده لأبناء شعبه ، وكان حذرا في اختياراته لكلماته وغير قادر على تصور فكرة أن أيا منها قد تكون غير مؤثرة .

(قيلت في عيد ميلاد كاسترو الثمانين عام 2006).

8 - الفرق الوحيد اليوم بين الليبراليين والمحافظين هو أن الليبراليين ذهبوا إلى القداس في 500 والمحافظين في ثمانية. (مائة عام من العزلة).

9 - أردت أن أقدم هدية لنفسي في عيد رأس السنة فكانت 90 زهرة برية مع عذراء في سن المراهقة. (ذكريات عن عاهراتي الحزينات).

10 - من الممكن أن أقول أشياء غير عادية في لهجة عادية ، يحصل ذلك مع أي شيء طالما أنك تدفع للاعتقاد به. (مقابلة مع مجلة بلاي بوي عام 1983).

عن / صحيفة الديلي تلغراف اللندنية.

ناتو
جريدة ثقافية شهرية
تصدر عن مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

المدير العام
غادة العاملي

مدير التحرير
علاء المفرجي

الاخراج الفني
ماجد الماجدي

المراسلات: info@tattoopaper.com
بغداد–شارع ابونؤاس– محلة –١٠٢ زقاق –١٣ بناية ١٤١

رثاء شاكيرا وسلمان المنكوب في موت ماركيز

نعيم عبد مهلهل

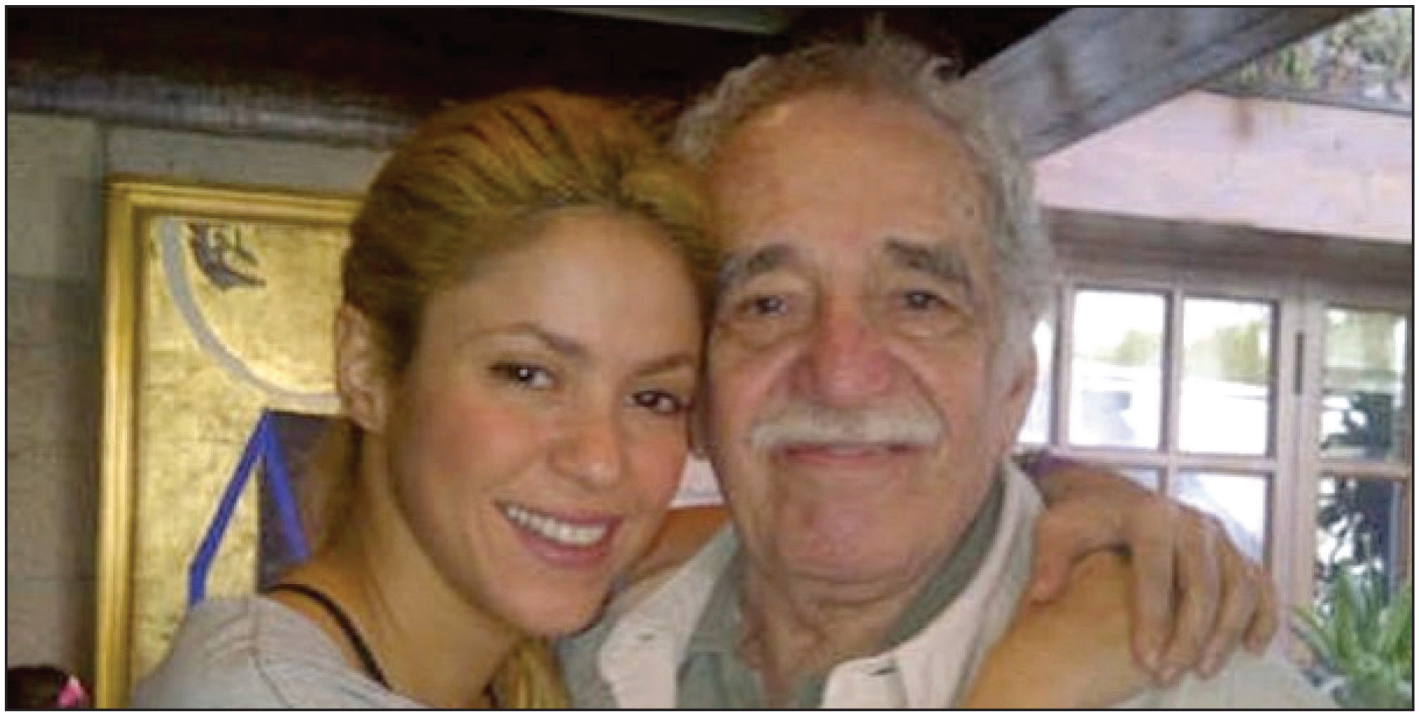

مات غابريل ماركيز...وعلى شاكيرا وسلمان المنكوب ان يلبسوا السواد حتى قبل افراد عائلته والشعب الكولومبي...ففي الجسد المؤنثْ ، والمُذكرْ والميني للمجهول تختزل العاطفة كل الأطوار الريفية وتنزل في واحد من الأجنحة الملكية في يخت نبي اشترى من نوح امتياز عطر البحر ورذاذ الشوق والخواطر الجميلة للأعضاء الأنثوية لكل طائر ابيض.
من يسمع (سلمان المنكوب) غير أمي وملك النيبال ومدير إذاعة بغداد...من يسمع سلمان غير المعدان وفقراء سان باولو ومزارعي حقول الشلب في (المشخاب) وفيتنام..من يسمعكَ يا وجعَ العراقْ غير الديك في صباح شفتيك يا حبيبتي..من يسمع غير اللّه.....!هذا أنت يا سلمان.تواريخك المقدونية شيبت شعر الاسكندر ومنحت أشواق (زرازير) البيت نداء الحلم السريالي لوشم الأم على الفخذين.
ياطلاسم اللّه..كم ماركيزا تحتاج مدينة مثل (قلعة صالح) لتقول لطيور الوز المائي: سلاما لإمام قتل في (الطف).

ووداعا لمهاجر تاه في ثمالة دوسلدورف...هذا أنت يا سلمان المنكوب.أقسم بألف ألف متظاهر في ساحة التحرير ببغداد أن زوجة ساركوزي الجميلة تشتاق لتسمع صوتكَ الآن..فبين المدن المنصوبة في حانات قناني البيرة والمرفوعة على صلبان ربيع عولمة الثورات والمجزومة بجزم العسكر والمجرورة بحبال القبلات. والساكنة مع التنهيدة المندائية القائلة: (زيوا) علم مانديلا العشق.(وكنزفرا) مندي جرمانا أعطى الأوسكار لاوباما كي يحسم مسألة تهجير الأزل الروحي ليحيا والأبناء الأصل الكثر..!بين النخلة والعين الشهلة.. (علوية) مدن اللّه الموسومة باريس والأب الروحي لشهوتها إيفل تكتب في ورق نعاس الليل بحبر الصفيح المنسي بأرض البترول: حرام يا دمع البترول أن تعطي اللص وسام عمامته وتمنحه الجنة والجاه.وفقراء الشعب على الكاسيت وسلمان يعيشون وفي لذتهم خبز مقسوما في محنة تلك البطن.فلا لينين أقام عدل شيوعيته...ولا كاكا الكورد أقام لنا صرح التغيير...تاه المعنى...تاهت خطوات العرافين...تاه العشق المرسوم على هامات المحتاجين.تاهت لغة التوراة وآيات سبع تتحدث عن نجم يسبح في الطين..غرقت فينا سفنُ القرصان وأشرعة العرافين.وبقينا نسمع سلمان ونتذوق تمر الشوق وبهارات البصرة ونعوش الشهداء المنسين.!
بين المدن المنصوبة.والصلبان المضروبة.واحدة تكشف عن نهد يغري أمل العالم بالحب.وحدي أتقدم إليها معصوب العينين.وفمي يقرأ كل قصائد غجر اللّه.وكل أغاني المسحوقين... تتحدث شاكيرا عن صوت ولد في أول أوان الملكية في بغداد.تتحدث عن زمن في اللحظة حمام نساء نتعرى فيه بفطرتنا. ونلوذ بخصر العزباء جارتنا.تتحدث عن خرشوف المتجهم وزوجة كيندي الساحرة بفتنة هيكلها العظمي بمقبرة في تكساس...تتحدث عن قطتنا بسمه ، عن سوق الصاغة.وأدوات المكحلة الأسطورية حيث العين والحسد وإغراءات الشوق بصوت الديك.حيث الفانوس وجيفارا..حيث المنحوس وتعويذة: دعني أشمك لاضمك وسط الصدر حنينا من ريف (الاهوار) وقرى النارنج وتاج الهند ومعدان السوق الشرقية بمراكش.غني يا سلمان المنكوب..غني سلمان...من عبادان إلى اليابان..فأنا أسمعك....وكما حزن العميان... بحة صوتكِ هو الشمعة.....!لا تتحدثوا عن الشوق في العلن.لأنه عندما لا يكون سرا مكتوما.فلن يكون شوقا أبدا..!أمي تلت هذه العبارة في قداس الأمير وليام وكيتي...لا تسمعوا موزارت والموسيقى الارمنية المدهشة قبل أن تسمعوا سلمان المنكوب.أي كتب هذا في وصية موته...لا تقولوا لا وبطونكم تغرد فيها عصافير البرتقال...هذا ما أخبرنا به الحاج ماركس.... تعرفونه كلكم.....الرجل الذي دخل كتب الابتدائية من استمناء الخبز وعصي الشرطة وشفاه مارلين مونرو... الرجل الذي غنى (شمس الأصيل وأنت عمري) في جبهات الحرب بشمال العراق وجنوبه...الرجل الذي لم يبعنا.ولكننا بعناه بقرعة السلع المعمرة واجبان لا فاش كيري وفيزا الصيف إلى سواحل اليونان..وأنت يا شاكيرا...أنا أسمعك الآن..أعيد قراءة ماركيزا مع الغنج الفاحش بين نهديكَ..!اكتشف الكوليرا وخواطر العقيد والعزلة ونبات البابَنك يشرب فينا أقداح الحمى... وأنت يا شاكيرا التي تحب سلمان وأمريكا ألاتينية وقطاع (55) في مدينة الصدر..لك كل دهشة سقراطك لذة قيصر في فم الملكة المصريةَ.لك محبة الله...فكل الطرق تؤدي إلى خصركِ.وحدها دمَعتي طريقها إلى آلة التسجيل فيلبس...!آه من لغة عينيك حروفها (تخرخش) في الصدر مثل ربو الموسيقى في قدر الفقير..!آه من لوعة أغانيك في ملحمتك السومرية (أمرن على المنازل..منازلهم خلية..أكولن وين أهلنه.. يكول اكطعوا بيه...)*...ستسمعها شاكيرا وستعلقها بشهوة في خزانة ملابسها الداخلية.رامبو الفرنسي سيبتهج أيضا....وسترقص عصافير زقاق شارعنا.ومدرسة النسوان تفتح صفا رومانسيا للملابس الصغيرة (الميني جوب وألف حسرة على الزمن الجميل خلف نعش هوش منه.وهناك أمي تولول وبائعة القيمر: حرام على قمر في العراق تذبحه الشظايا وبراميل(أسيد) *الرئيس...!آه من شفتيك...تمر النخل في آب يغار منه... وأنت يا سلمان.يا رجلا من زمن رجال (الموكيهانز)*... من زمن الرجال المعدان..أبراجهم هي القصب المنتصب والثيران المنفلتة من عقال الأساطير.روح اللّه فيهم.. ودهشة شهوة الوردة حين لسان العطر يمر هنا.آه.. ما أنبلك أيها المكان المقدس..تثير فينا كل الجمهوريات والممالك وتجعل ورقة التين راية بثلاثة نجمات..وحين نلج بذكورتنا وبهجتنا وأناشيد الحرب وابوذيات بنات الريف ورقصات غجر العرق (المستكي) .تراقص تلك النجمات وتقول: اللّه واكبر.أكملت الشوق ياورقة التين.
آه من خصر شاكيرا...آه من صوتك يا سلمان...آه من وطن ما عاد يفرق بين الفرسان وبين الخرفان....أنه الشعر...أنه العطر...انه أمريكا اللاتينية التي تشابهنا في القدر والنصيب...معا نركب غيمة الثورة...ومعا نتذكر آبائنا في سوق القمح...يبيعون القسم و (الحلفان) من أجل كذبة واحدة تجلب لبطوننا رغيفا أضافيا.!أبدا أنت يا أمي..الأغنية العاطفية الأشهى في جلسات كل برلمانات العالم...أنت يا نغم الوشم الصيني في صحن خزف عليه صورة (الملك والزعيم) ..وأين الوصي...؟العرفاء يعرفون مصيره..ديغول يقول: كل ملكية زوالها قسوة الدمعة.وكما عند المعري هذا ما جناه أبي...لويس السادس عشر يكررها: هذا ما جناه مخدعي وسرير نومي..مخدع أمي في صوت سلمان ومنازل جعلتها الحرب خالية..هناك فوق نهد اللّه والجبل المرتفع كهامات السحب السكرانة والنعسانة والعريانة أمازج بين نبيذ كولومبي وشيئا من حنجرة سلمان.هذا توافق الاشتياق المميز بطاقاته الجنسيةحتما لا تصنعه غير أمهات من الضوء والنواح وشق الثوب من الصدر...أمهاتنا دهشة العندليب في رغبته لغناء ذكورة الصباح..الديك نائما وخالعا بنطاله..والبلبل يتهادى كما تايتانك في الغرق الأخير على فراش بطولته ويغني لأنثاه: (أنا معك يا أم شامة).....لك أنت هذا الهوس الزنجي...يا عاطفة مسكونة بالتعَريف ألكنائسي.. يا ندى دمعة الحيرة في القبلة الجنوبية على خد الشهوة الأسبانية...غجر أنتم أم عرفاء في الجيش..؟تسألكم شاكيرا الوطن لايبيع (ديسهُ) لأن الحليب أغلى من المطر..لأن راقصة البولشوي ستجمع في البوم ذكرياتها أعضائنا الذكورية ونحن نفكر بشيوعية علي أيام كان السيف لا يرضى أن يشرب مع الوردة الاركيلة وفي مقهى واحدة.الوطن لا يبيعك يا سلمان...وبالرغم من هذا رئتيك توجعك.. أنه الشعر..الشعر يا صديقي...تسمعه الخلق من مكة حتى دكا...وأنت مهموما في حشرجة الكهرباء والتقاعد وتسجيل همسات البابا السرية..وحتما الفاتيكان ليس مدينة: (الثورة وليس البياع..)*.ولكن اللّه واحدهنا أو هناك أو في بوغاتا....!على جهة الوجع تنام الأغاني... تستريح في هكذا مكان...أنها تؤسطرة الآمها لتجعلها كمانات ودفاتر إنشاء ودواء سعال لبحة أبي في طوره الذي لا تؤديه سوى(سليمة مراد).أغرب ما في العولمة إنها تضع اوباما وسلمان المنكوب وشاكيرا في صفحة واحدة..يا لبهاءك أسوار بابل...أنت ليست ريفا من قرى الألب...أنت دعابة لذيذة على وسادة الكاسيت... لو كان (رامسفيلد) يعرف أن الحنين هو (الونين) لما أتى بحذاء مرقط ويأكل البيتزا في صحراء النخيب... لو كان قس كوتنبري يعلم بفاجعة الموت على ليدي ديانا.لاشترى كل أشرطة الطور(المجراوي) وقلد سلمان وشاح المعمودية وجعل(القرنفة) جنة...لكن ما كان كان.ونحن لنا الحصرم والمنفى...والتعود على قراءة الغارديان كل صباح.....!هذه وصاياك يا سلمان وأنت في وجعك أكتبها ليسمعها الناس.لقد كتبتها مشتركين أنت واليوناني ــ الأسكندري كافافيس.وصلح أخطائها النحوية فريد الأطرش بعود أول همسة والربيع الذي يجتاح امتنا الآن ويصنع لنا طعما آخرا لساحات التحرير...

هذه وصاياك اليسوعية....اتلوها قدام المذبح وأحاول أن اجعلها اشتياقا بلشفيا للرز البرياني ولذة طعم لحم البش..الوصايا التي كلها بهارات وفلسفة ونعومة وركين..!أسمعوها....وستسمعها معكم شاكيرا ومارکيز وضحايا مذبحة أوسلو..سيسمعها معكم ياسمين الشام وعلاوي الحلة وأمير ويلز ورئيس تحرير الواشنطن بوست..أنها رؤيتهإنها شهوته...أنها أغنية الوكه واكه في العيد التسعين لمانديلا...أنها بازار من شوق الشاه لقتل الدمعة الشيعيةلشوق الحرب لمضاجعة لمنادمة التراويح الحنفية..إنها نبيذ روحي. شكرا يا سلمان المنكوب: لقد أجدت..أحسنت...وبارك اللّه فيك..وحشرنا معك في قنينة عطر من الشانيل.

مات ماركيزا ، صاحب زمن الكوليرا...الذي بقي فقط ، زمن المفخخات ، وداعش المصنوعة في مصانع تويوتا ، وألبان الثور الاخضر.....!

دكتاتوريو ماركيز وجنرالاته

المؤرخون يزورون حتى قياسات ملابسهم وأشهر الطغاة بلا آباء

عواد ناصر

غابريل غارسيا ماركيز واحد من أكثر كتاب العالم رصداً لمشهد الدكتاتور، وقد رسمه في أشد حالاته الشخصية، ولم يتردد هذا الكاتب عن كشف أرذل حالات محرر أمريكا اللاتينية وبطل القارة القومي سيمون بوليفار وهو تبول على نفسه بينما جسده مرتع للذباب في روايته (الجنرال في متاهته) إذ تتبدى شجاعة الكاتب وحريته الداخلية في نقد المقدس وتحطيم الهالة المزيفة للحاكم كما يرسمها لنفسه ويأمر خدمه وحاشيته بتكريسها.

بوليفار الذي منحه برلمان بلاده لقب (المحرر) خاض حروباً عديدة، وأقدم على قتل أسراه وأصدر مرسوماً بزرع مليون شجرة وحصل على لقب (أستاذ) من ماسونية سكوتلاندا، يعتكف في أواخر أيامه بمزرعة أحد أصدقائه وهو في أرذل العمر يقترب منه الطبيب ويهمس في أذنه ليعترف ويدلي بوصيته الأخيرة يرد بوليفار: "ما معنى هذا؟ هل حالتي سيئة لتحدثوني عن الوصية والإعتراف؟ كيف أخرج من هذه المتاهة؟". (*)

الجثة لا تريد أن تعترف بأنها جثة: إنكار سيكولوجي للنهاية المحتومة والتعبير عن إرادة مرضية للتمسك بالسلطة إلى الأبد.

الطغاة يتشابهون. حتى نسلهم، عبر التاريخ والجغرافيا، يكاد يعرف كل منهم الآخر، لكن لا يُعرف أب للدكتاتور!.

بينما في (خريف البطريرك) روايته الأخرى يرصد ماركيز حياة الطاغية اليومية ومجمل سياساته الداخلية والخارجية في قمع شعبه من الأطفال والنساء والمعارضين السياسيين من شتى الصنوف وصولاً إلى الكرسي البابوي في الفاتيكان!

حتى لو كان الطاغية قزماً مثل نيرون، أو شخصاً متوسط القامة مثل صدام حسين، فإن مصوريه الشخصيين يظهرونه عملاقاً حتى لو اضطروا إلى أن يلتقطوا صوره وهم جاثون على ركبهم.

صديق آلامنا وأوهامنا، كبيرنا الذي علمنا السحر، الراحل قبل أيام، غابريل غارسيا ماركيز رسم صورة دقيقة للدكتاتور، أي دكتاتور، ليكشف أن التزوير لا يطال الحياة السياسية أو النظرية للدكتاتور فكتبته وأعلاميوه يتلاعبون حتى بشكل جسمه وطول قامته وقياسات ملابسه ليبدو (أعظم) بخلاف حقيقته القزمية: "... فبينما تكون ملابسه ذات قياسات صغيره فإن مؤرخيه يقولون عنها إنها من الحجم الكبير، إذ أن النصوص الرسمية، في المدارس، تقدمه بوصفه بطريركاً عملاقاً لا يخرج، ، من بيته لأنه لا يستطيع اجتياز الأبواب".

ولإضفاء المزيد من الأريحية على سلوكه وتأكيد لمسة الحنان في حياته وترويج قدراته الخارقة على الإتيان بالمعجزات كالله أو الأنبياء يذكر ماركيز:

".. يحب الأطفال والسنونو ويعرف لغة بعض الحيوانات وله ملكة توقع خطط الطبيعة، كما انه يسبر الأفكار بالنظر في عينيك ويملك سر ملح يداوي جراح البرص ويعيد الحركة لأعضاء المشلولين".

في أغلب سير الطغاة والجنرالات ثمة حلقة مفقودة في سيرة هؤلاء، ويجري التعتيم عليها باعتبارها أحد أسرار الأمن القومي، وقد يلجأ الدكتاتور إلى إصدرار المراسيم والقرارت الرئاسية بطمس كل ما يتعلق بماضيه بدءاً من طفولته مروراً بصباه وشبابه، وقد يقضي على كل من زامله أو رافقه من الأصدقاء والأعداء ممن يعرفون حقيقة ماضيه المشين، سواء في حياته الشخصية أو مسيرته السياسية.

".. ورغم خلو النصوص من أي تلميح لأصله، فقد جرى الاعتقاد بأنه رجلُ آت من عزلة الصحارى حسب ما توحي بهِ شراهته للسلطة وطبيعة حكمه وقسوة قلبه المتناهية التي دفعته إلى بيع بحرنا لقوة أجنبية".

وفق أسلوب ماركيز في الكتابة وهو يعتمد التشويق والخيال (السحرية) عنصرين بالغي الأهمية في تجربته الروائية والسينمائية، يصعّد ماركيز المشهد وإن بدا على غاية الغرابة كما في (مئة عام من العزلة) تحديداً: "طارت ريميدوس الجميلة في الملاءات إلى السماء"! وفي (خريف البطريرك) يطير في خياله، وخيالنا، عندما يخبرنا بأن عدد أبناء البطريرك الذين أنجبهم خلال حياته الطويلة بلغ "أكثر من خمسة آلاف طفل، كلهم ولدوا قبل الأوان من عشيقات بلا حب، ولا يحصى لهن عدد وكن يتوالين على حريمه كلما جمحت به حميّا الشهوة ولم يحمل أي من أولئك الأطفال اسمه أو لقبه إلا إذا استثنينا ذلك الطفل الذي أنجبته ليتسيا نازارينو والذي سمي، منذ ولادته، جنرالاً ذا إقليم وقيادة".

مفارقة: إذا اشتط الخيال بماركيز ليحصي أبناء البطريرك بأكثر من خمسة آلاف طفل، فإن الحقيقة العربية الإسلامية أحصت للخليفة المتوكل ثلاثة آلاف جارية وطأهن جميعاً، على وفق ما ذكر الباحث الراحل هادي العلوي وهو مصدر موثوق.

يضيف ماركيز: "إن البطريرك يعتبر أن لا أحد هو ابن أحد إن لم يكن ابن أمه فقط، ويبدو هذا اليقين صحيحاً حتى بالنسبة له، إذ من المعروف إنه كان رجلاً بلا أب، مثل أكثر الطغاة في التاريخ".

(*) الجنرال في متاهته، ترجمة محمد عبدالمنعم جلال (الهيئة المصرية للكتاب 1996).

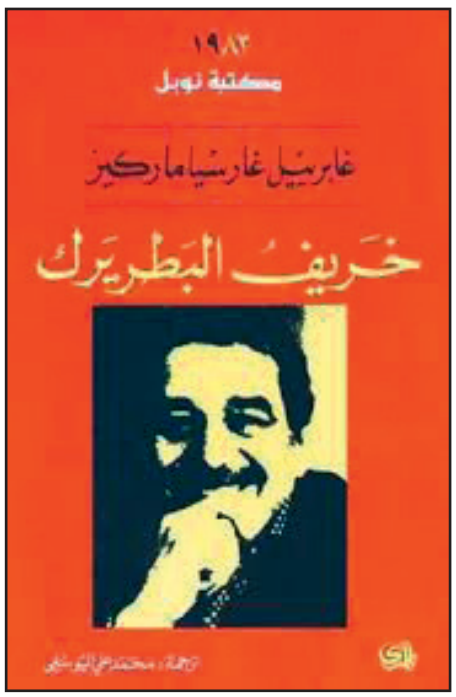

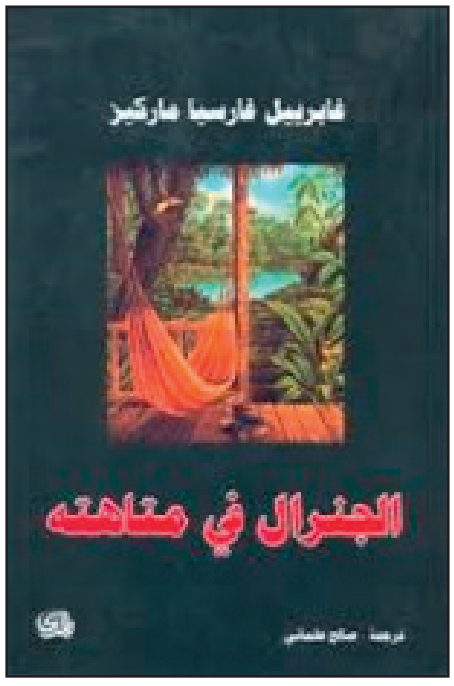

هنري لارتج .. مصور الحقبة الجميلة

فاضل عباس هادي

من الصعب بمكان الكتابة عن جاك هنري لارتج LARTIGUE . ومنذ الصباح وأنا أفكر بكتابة الجملة الأولى. وها هو الليل ينتصف وأنا ألف وأدور حول نفسي، أتصنع الانشغال بأشياء أخرى لا علاقة لها بالموضوع.

قلت في نفسي أن البحر يرى ولا يكتب عنه وان الفضاء أوسع من أن يحصر بين السطور. إننا أمام مصور عجيب حقا. نتاجه يمتد على مدى تسعة عقود تقريبا. نعم تسعة عقود لأن لارتج بدأ علاقته بالكاميرا منذ نعومة أظفاره.

وبالتحديد في السنة الرابعة من العمر، وبقي على علاقته مع العين الثالثة حتى مات عن عمر مديد بلغ الثانية بعد التسعين.

انه مصور سعيد، ومن سعادته استمد العمر الطويل. مجلة «فوتو » الفرنسية المرموقة عنونت مقالاً لها عنه: «الرجل الذي جعل الكاميرا تبتسم » ولاختيار العنوان ما يبرره تماما.

لقد أقصى لارتج الألم من اهتماماته واعماله من دون أن يستثني الدعوة إلى الفرح، والى الحياة والانفتاح لا بل إلى التحليق. ولا يمكن أن نكتب عن لارتج بصيغة الماضي، وان كان أهم مصور سجل بذكاء وعبقرية تاريخ حقبة خصبة وسعيدة في حياة الأمة الفرنسية، «الحقبة الجميلة » التي تمتد من نهاية القرن التاسع عشر إلى بداية العقد الثالث من القرن العشرين. تلك كانت سنوات الأمل والإبداع، بداية عصر الطيران، وبداية العصر الحديث.

ولم تسم عبثا بـ «الحقبة الجميلة » لأنها كانت حقا جميلة. ولا يمكن أن نكتب عن لارتج بصيغة الماضي لأنه نسيج وحده ولا أتباع له. انه فريد حقا في تاريخ التصوير وتصنيفه مستحيل ثم انه كان يرفض أن يتمدرس أو يتحذلق أو يلجأ إلى التقنية والحرفية. حسبه أن يسجل ما يرى من المدهشات اليومية وما أكثرها لمن حافظت نفسه، بكيمياء غامضة، على روح الاندهاش والتعجب أمام أعجوبة الحياة والحركة والألوان والعطور والأضواء.

كان لارتج ملتحما بحركة الحياة حوله. أداته الكاميرا، وبها استعان على تسجيل العالم لحظة الصيرورة والتكون. وبعد نصف قرن من التقاط صور أثارت انتباهه، أصبح لها)الصور(دلالة اجتماعية وتاريخية. الا أن لارتج العجيب لم يكن يفكر بالمستقبل، كان يتعامل مع الحدث ضمن علاقة الحدث العضوية به. كان يريد أن يصيد اللحظات الجميلة وهي تتشكل أمامه، يريد أن يقبض عليها وهي حارة، ودافئة ومضمخة بالعطور.

يقول الكاتب الأمريكي جون شاركوفسكي: «من السهل أن تثير صورة قديمة اهتمامنا، أما الصورة الجديدة فتتطلب من المشاهد حاسة حادة تتجاوز الاعتيادي الذي اصبح عديم الحدة من فرط الاعتياد ». ويضيف أن الزمن

يعمل لصالح الصور الجيدة، وما كان عاديا سيبدو بعد خمسين سنة ذكرى عذبة وموشحه بشعور الحنين إلى الماضي. إلا أن أعمال جاك هنري لارتج هي اكثر من تسجيل لفترة غابرة. انها ملاحظات عبقري، ومشاهدات شاعرية الإحساس ومسجلة بشكل شاعري ورقيق.

ولم يكن لارتج يعتبر نفسه من الهواة، والتصوير بالنسبة إليه كان تعبيرا عن نفسه. كان عالم المدهشات بالنسبة إليه أهم من أن يهمل. وعلاقته به كانت اعمق من أن تخضع للتفسيرات النظرية والمدرسية والفلسفية. بل انه رفض أن يقام له معرض خاص بأعماله، وأول معرض أقيم له كان في متحف الفن الحديث في نيويورك، وذلك في صيف العام 1963 ، أي بعد ستة عقود من الإنجازات الخرافية المذهلة.

ولد لارتج في الثالث عشر من يونيو)حزيران(من العام 1894 في ضاحية قريبة من باريس لعائلة برجوازية جميع أفرادها من المتحمسين للتصوير الفوتوغرافي والفنون والعلوم. وبعد أربع سنوات من ولادته انتقلت العائلة إلى باريس. وفي السادسة من العمر بدأ لارتج الصغير يكتب مذكراته التي يدون فيها بالنص والرسوم الضوئية مشاهداته اليومية وفي العام 1902 بدأ يركز بشكل ملحوظ على الصور التي يلتقطها بنفسه ويحتفظ فيها في ألبومات خاصة. وفي العام 1915 دخل لارتج أكاديمية جوليان للفنون الجميلة وبعدها بدأ يرسم ويعرض لوحاته الزيتية والمائية في صالات العرض إلى جانب الرسامين الآخرين. وكان يلتقط الصور باستمرار وبعضها صير إلى نشره في الصحف والمجلات. إلا أنه استمر في الإصرار على عدم نشر صورة في معرض خاص بها، كما أسلفنا. حتى العام 1963 ، وبعدها كرت السبحة فصدر له «صور ج.ه. لارتج » في العام 1966 وهو خاص بصور الحقبة الجميلة، ثم في العام « :1970 مذكرات العصر » مع مقدمة للمصور

الأمريكي الكبير ريشارد أفيدون ثم في العام « 1973 بورتفوليو لارتج » وهو مختارات من الصور الموقعة وقد صدرت في طبعة محدودة) 50 نسخة فقط(مع تقديم للكاتبة الكوسموبوليتانية انايس نين. ثم «لارتج والنساء » في العام 1973 و «لارتج والسيارات » في العام 1974 وقد استمرت الكتب تصدر عنه تباعا، و «ألبوم لارتج » الذي صدر في سويسرا في العام 1976 .

قلنا إن لارتج فنان لا يمكن تصنيفه ولا اتباع له، عاش في عصر جميل واختار تسجيل الجميل والدراجات الهوائية المجنحة، المحاولات الأولى لاقتحام السحب، الجميلات وهن يرفلن بالدمقس والحرير ويعتمرن القبعات الفنطازية المريشة الملونة، الناس في لهوهم البريء على الشواطئ، سباقات السيارات والخيول، والطائرات الورقية، المتنزهون والمتنزهات في غابة بولونيا الباريسية الشهيرة.

أما تسجيل الألم والجانب التراجيدي فقد تركه لمن هم أكثر «جدية » منه. مع لارتج ندخل، من دون بروتوكول، إلى أنشودة الحياة وسيمفونيتها الناشطة. ندخل إلى الحياة في جانبها المشرق والضاحك، يأسرنا، يزف لنا البشرى، ويذكرنا على الدوام بالحياة في تجلياتها الأجمل والأكثر إشراقا.

أما من يصر بيننا على الظلامية والكآبة فليبحث عنها في مكان بعيدا عن مملكة لارتج.

* من كتاب... ولا تنسَ بأن السيدة" لايكا" تنتظرك بالبيت المعد للطبع قريبا.

متغيرات الربيع العربي

بين التأثير على الاجناس الادبية والتسبب باختلافات الادباء

استطلاع: تاتو

الامم التي تتعرض الى متغيرات او هزات او انقلابات او تراجع او كوارث يتبعها تغير في الخارطة الادبية وربما تغير واحتدام حتى في علاقة الاديب مع المتغير الذي حدث..هذه الامم هي امم منتجة للثقافة تبقى ربما في حيرة من امرها حين يقف مثقفوها ومنتجو ثقافتها واقفين بين عدة خطوط يصل بعضها الى حد التقاطع..وما حل بالأمة العربية من متغيرات بدأت في العراق بعد عام ٢٠٠٣ وما تلاها مما اصطلح عليه بالربيع العربي الذي اشتعلت ناره في تونس ثم مصر وما تبعها من حركات وإسقاط حكومات ومواجهات مسلحة ومتغيرات سياسية لبعض الحكومات مخافة ان تصلها شرارة التغيرات..وأمام كل الذي حصل خلال سنوات العقد الاول من القرن الواحد والعشرين والسنوات الأربعة من العقد الثاني منه يجعلنا نطرح سؤالا مهما مفاده: هل يمكن ان تؤثر ثورات الربيع العربي على الانتاج الادبي العربي وتجعله في مرحلة متغيرة ومغايرة لما تم انتاجه خلال العقود التي كانت فيها الدول العربية تحت سلطة الفرد الواحد؟وهل يمكن ان يكون الربيع العربي سببا في الاختلاف والخلاف بين الادباء العرب مما يؤثر سلبا على الانتاج الادبي سواء منه في مجال السرد كالرواية والقصة او الشعر..بمعنى ايضا كيف ترى مستقبل الانتاج الادبي العربي بعد ثورات الربيع العربي

الناس والحجارة والرموز

الناقد الجزائري حمام محمد يقول.. أولا يجب الاتفاق (على المصطلح) هل من تقصد "الربيع العربي" بتغير النظم السياسية، اذا كان هكذا..فانا في اعتقادي، ذلك يجانب فكرة التغيير..ويجعلها فكرة عشوائية متهورة، لان من وضعها ليس معهدا اكاديميا او سليل مدرسة معجمية حتى نندفع وراء تعليق او فكرة للآخر مفروضة ونتبناها مباشرة ويرى محمد ان الربيع العربي من هذه الزاوية مرفوض..ويضيف.. أما اذا كان ما حصل مؤخرا في بعض الدول، ولا اعقب انما في رأيي هي مرحلة وصل إليها سقف التفكير" عند بعض النخب التى ارادت ان تأتي التغير من الزاوية التى تراها، واقعية الادب او الابداع في هذه الحالة معروفة لأنه سوف يتأثر حتما ليس بفكرة الربيع وإنما بفكرة التغيير التي آمن بها المجتمع الذي يشاهد التغير من الداخل وهذا بطبيعة الحال سيعمق الفروق ويوسع الهوة..لان فيها " الناس والحجارة والرموز" تتساقط سينمو "المختلف" الى درجة ربما سيغيب فيها الماضي الجميل وتتعايش الشعوب على "ارهاص جديد" صنعته نخبة متسلطة في الفكر قبل اللوجستيك..ويشير..ان قلت سيكون جميلا فهذا نفاق..وان قلت سيكون "عبثيا" فهذا ايضا نفاق بل سيطغى "انطاق الحيوان على السنة البشر" في القصص والروايات وسنتحول على طريقة افلام الكارتون الى زمن بخلاء الجاحظ..وستعرف الاعمال الادبية ثغرات كبيرة..ستعجل..بكشف غبائنا بعد مئات السنين.

الرواية والربيع

الروائي العراقي سعد محمد رحيم يعد ثورات الربيع العربي انها كانت زلازل قوضت أركان ديكتاتوريات عسكرية وأنظمة استبدادية شمولية، غير أنها أخرجت الغث أيضاً من أحشاء الواقع، وكان ما كان من نذر التعصب والشر والفوضى والفساد والإرهاب والتي تجسدت في قوى ومؤسسات ومصالح متضاربة ومؤامرات.. ومثل هذه الأحداث الجسام لابد من أن تؤثر في الأذهان؛ في القناعات والرؤى والمواقف والسلوكيات..ويتساءل رحيم ماذا بشأن الأدب؟ ماذا بشأن الأنواع الأدبية؟. ماذا بشأن نوع أدبي خطير كالرواية وظيفتها رصد انقلابات الواقع الظاهرة والخفية وعكسها فنياً في متنها؟.ويجيب ان للأدب منطقه الخاص.. قوانين حياته ونموه الخاصة، وإنْ كان ينفعل بالواقع وحركته وتقلبات أحواله.. تنتقل ذبذبات الواقع والتاريخ إلى صلب النص الأدبي لكنها لا تبقى هناك كما هي.. فمرشحات الفن الأدبي تحولها إلى شكل آخر، وتضعها في أفق الجمال. ولأركز بهذا الصدد على فن الرواية وكيف يمكنها التعاطي مع حدث هائل دراماتيكي كثورات الربيع العربي؟. ويوضح ان الرواية هي النوع الأدبي الأكثر تحرشاً بالواقع.. وبروح المشاكسة هذه تؤسس تاريخاً آخر، مناظراً أو مكافئاً، وأحياناً مناقضاً للتاريخ الرسمي والأكاديمي،فتعلن تحيّزها الصارخ للإنسان والحياة. وهي إذ تفعل إنما تكشف عن هويتها بوصفها ابنة الواقع والتاريخ والحياة،والباحثة عن الوجه الاستثنائي للحقيقة،وعن السر الكبير الخاص بمعضلات البشر الوجودية؛ الحب، الحرية، العمل، الوعي، والموت. ومع كل منعطف تاريخي، أو ثورة سياسية أو اجتماعية أو علمية أو تقنية، أو فكرية، ومع كل كارثة طبيعية، أو من صنع البشر، فإن الرواية تنفعل وتعيد النظر بشكلها ومنطقها ولغتها وأساليبها وأشكالها..وعن بروز اختلافات يقول انه من المؤكد أن الإجابة هي نعم؟. فلكل مثقف موجهاته الإيديولوجية الخاصة به وقراءته المختلفة للحدث السياسي بحسب الموقع الذي تصدر منه. وكذلك حساباته التي قد تتباين مع حسابات الآخرين.. الاختلاف شيء طبيعي، لكن بشرط أن يجري إشهاره في مناخ من الحوار الموضوعي الحر والمنتج، لا أن يغدو كرنفالا ساخراً جديداً للمهاترات والسجالات الانفعالية المتشنجة الشبيهة بحروب الثأر الوحشية بين القبائل.

التأثير السلبي

الشاعرة المصرية عفاف عوض تقول ايضا اولا هذا الحدث وما يسمى بالربيع العربي هو شتاء عربي قارص.

اما بالنسبة للموضوع الاساسي وهو تأثر الادب في الوطن العربي بثورة الشتاء العربي طبعا اكيد تأثر تأثرا كبيرا وسلبيا لما تعانيه البلاد من عدم استقرار اجتماعي وسياسي وامني مما افقد المبدعين مقومات الحياة التى تساعدهم على الابداع..وتضيف كما أن انهيار الذوق العام في استخدام اللغة يعد من الاسباب الرئيسية فى التأثر السلبى وظهور مجموعه من المرتزقة مدعى الثقافة ومحاولتهم قلب القيم الاصيلة فى الادب ومحاكاة الغرب فى الابتذال لتحويله الى ادب اثارة غرائز وأدب تجارى بغرض الربح وهدا مقوم اخر فى التأثر السلبي.

انتشار الاوبئه والجهل والفقر لها التاثير القوى على الانهيار الادبى..ولهذا تعتقد عوض ان هناك محاولات لطمس الهوية العربية وهذا ما يساعد على اندثار مبادئنا وعاداتنا وتقاليدنا ونصبح بالا موروثات تعجب لها العالم واخذوا منها كثيرا وقلدوها فى كثير.. وتؤكد ان التأثير اظهر ايضا انتشار الحروب الطائفيه وانتشار الارهاب ومحاوله اغتيال الاقلام التى تحارب الفساد ومطارده المبدعين سياسيا يعتبر من المؤثرات السلبيه على الادب.

طبيعية الاختلاف

الشاعر التونسي نجم الدين حمدوني يقول من جهته انه من البديهي ان تؤثر الثورات العربية في كل المجالات وبالتحديد المجال الادبي ومن البديهي ايضا ان تختلف آراء المبدعين والكتاب بين مساند ورافض ومن هنا يولد النص المختلف والذي قد يصل لخلاف احيانا..ويشير حمدوني إلى أنه يبقى المستفيد هو الادب والقارئ , لأنه سيجد اختلافا في الفكر والقصة والرواية والشعر, مما يوفر له فرصة اكبر , للإبحار في مجال الابداع والنهل منه.ويعتقد أيضا انه من الضروري ان يكون هذا الاختلاف لكن لا نريده ان يصل للخلاف والتعصب الاعمى مما قد يفقد النص جانبه الادبي وجماله الابداعي..ويرى ايضا ان الثورات العربية والعالمية عامة هي في حد ذاتها مختلفة في اهدافها اسبابها وطرق القيام بها من زمن إلىآخر , ومن بلد الى آخر .ويعتقد حمدوني ان مستقبل الانتاج الادبي بالوطن العربي بعد هذه الثورات سيكون افضل ,من السابق على الاقل بسبب كم الحرية التي حصلت عليها هاته الشعوب في التعبير بعد ان كانت الكتابات اما رمزية وموغلة غالبا في الضبابية او مدحية وتطبيلية , للحاكم ..إلا ان حمودني يرى ان ناك خطرا في توظيف هاته الحرية

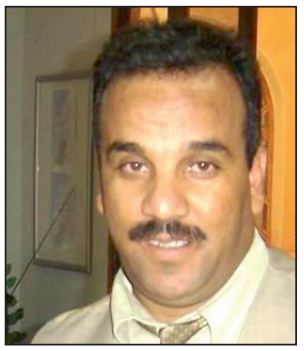
د.حمام محمد

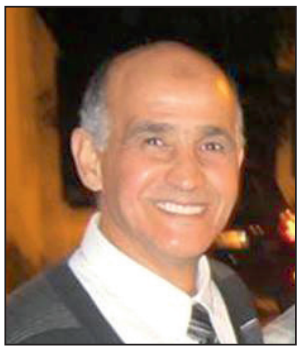
حميد يعقوبي

حمودي الكناني

عبد الناصر رجب

عبدالامير المجر

سعد محمد رحيم

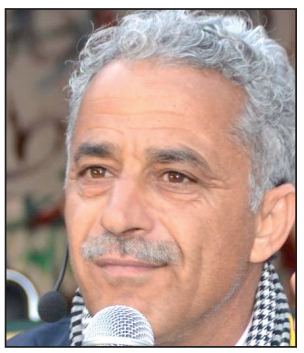
نجم الدين حمدوني

ميديا الصالحي

محمد رشاد

لخدمة مصالح ضيقة فنكون قد خرجنا من سجن لندخل سجنا باختيارنا .او نستخدمها في التعبير للمسّ والقدح في الاعراض أو المقدسات ولكن تبقى الايجابيات اكثر من السلبيات في المجال الادبي

اختلاف المرجعيات

القاص والروائي العراقي عبدالامير المجر يؤكد انه من دون ادنى شك، ان حدثا بحجم ما يسمى بـ(الربيع العربي) لا يمكن ان يمر مرورا عابرا في حياة الاديب والمثقف العربي بشكل عام، لأنه محطة فاصلة بين مرحلتين، سواء اتفقنا مع مخرجاته او اختلفنا عليها، وهو في حمولته التغييرية التي استدعت مرجعيات مختلفة، تمثلت بالكامن الثقافي المؤجل والمقموع، والذي انطلق بعد سقوط الانظمة التي انهارت معها الى حد كبير الدول أيضا كما في ليبيا كنموذج ابرز.. وأضاف ان المتغير وضع الجميع امام استحقاقات قاسية، وهنا فان هذا التنحول الكبير، سياخذ طريقه الى نتاج الاديب والشاعر وكل المشتغلين في حقل الثقافة لان مهمتهم الاساسية هي رصد الواقع وتحولاته على مستوى الفرد والجماعة ومن هنا فان الاختلاف بين الاحكام خضع لضغط المرجعيات الثقافية المختلفة لدى الجميع،سواء على مستوى الافراد مثقفين او غير مثقفين،او الجماعات التي ألقت بثقلها على الفرد وتحكمت الى حد كبير بمزاجه الشخصي تجاه الحدث،ويوضح المجر ان هذه الحقائق هي التي وضعت المثقفين العرب امام اسئلة متداخلة، ومحرجة أيضا اذ ان اختلاف البعض مع الانظمة القائمة سواء تلك التي في بلدانهم او في الدول العربية الاخرى، مثال سوريا نموذجا، والخلاف على الموقف مما يجري فيها، يعطينا صورة واضحة عن هذا الانقسام، لان خلفية الحدث ومحركاته المتناشزة، القت بحمولتها الخلافية بين المثقفين وغير المثقفين، فمنهم من يرى مايحصل في سوريا ثورة ويجب الوقوف معها ومنهم من يرى ان مايحصل مؤامرة تستهدف دولة عربية محورية ولكونها دولة مواجهة، وهذا ايضا يجرنا الى الموقف من الصراع العربي الاسرائيلي، وخنادقه التي اختلف العرب في التوزع بينها، وهذا الخلاف بات واضحا حتى على مستوى الانتاج الفني، وادبيات الخطاب الاعلامي اليومي، كما هو معروف لنا جميعا.

في المحصلة النهائية، استطيع القول، ان ما حصل ويحصل من احداث سيكون الفن والادب ميدانها الابرز لوقت غير قليل، لاسيما ان مثل هذه الاحداث يكون رصدها بطريقة افضل كلما مر الوقت عليها واتضحت ملامح المشهد بشكل جيد امام الناظرين، ليكون الحكم والقراءة اكثر وضوحا وموضوعية.

ايضا لايمكن التغافل عن ان (الربيع العربي) يشغل ايضا المؤسسات الثقافية العربية حاليا، بالخلاف والاتفاق تبعا لمؤثرات الخطاب السياسي في كل بلد عربي، والذي لم يتخلص منه الادباء العرب بشكل تام، وان ادعوا ذلك، اي ان بعضهم سيكون صدى لصوت النظام، وهذا مانراه اليوم ايضا!

نظرة تفاؤل

الشاعرة العراقية ميديا الصالحي تعتبر ثورات الربيع العربي ثورات احتجاجية ضد انتشار الفساد والركود الاقتصادي وتدني الأحوال المعيشية وانعدام الحرية ..وتشير الى انها ايضا ساهمت بفتح باب جديد لقضايا عرفت بعد هذه الثورات ولم أجد بأنها انعكست سلبا على النتاج الأدبي رغم اختلاف الأدباء في مضامينها الفكرية والنتائج التي حُصدت بعد هذه الثورات ,فالربيع العربي حاله كحال أي ثورة له ايجابيات وسلبياتإلا انها لا تثقل أكتاف الأدب العربي,لان الأدب سجل للموروث الإبداعي الخاص بفترة زمنية أو عصر معين ,واعتبر المهرجانات الأدبية في الدول العربية الآن اكبر دليل بان الثورات لا تقمع الأدب والأدباء بل تضيف لهم رؤيا جديدة عبر مواضيع وقضايا وأفكار تتماشى مع الوضع الراهن,وترى الصالحي ان هناك نظرة تفاؤل لان الأدب ينمو ويكبر على أيدي كتاب عاشوا فترات حرجة في صناعة تاريخ مغلف بالثورة وطابع الاحتجاج والرفض لذلك سيتسم نتاجهم بطابع الحماسة ‘تلك الحماسة التي نبعت من ضمير الفرد العربي في صنع التغيير.

الاستسلام والصراع

الشاعر المصري عبد الناصر رجب كامل يشير الى انه بعدما نجحت ثورات الربيع العربي في الإطاحة بأنظمة بلادها، في حين ما زالتٍ أخرى تصارع في سبيل تحقيق ذلك، ولكن لم يتوقف أثر الثورات عند هذا الحد، بل تخطاها إلى مختلف مجالات الحياة ومن بينها الحالةالأدبيه والثقافيه التي تأثرت بشكل واضح بها فقد وجد الكتاب خامه جديده تصلحً لأن تكّون موضوعا قصة قصيرة / ديوان شعر/ فكرة فيلم /سيناريو /كل حسب هواه وليس كل الحقيقة فقد ظهرت هناك دراما لا أخلاقيه وليس بها أى دور ثقافى أو تربوى سوى الإتجاه للعنف ولغة جديدة للكراهية وهذا ما أخذ به بعض الكتاب فى مسلسلاتهم وأفلامهم والإعلاميين لنجاح برامجهم الخاص ماتعلمناه أن الكاتب والمؤرخ هو ضمير الأمة يقدم حلولا موضوعية لمشاكل الأجيال ويربى فيهم الإصرار لا الاستسلام بل كان يتعدى هذا برسم الأحلام للشباب لا الترويج للمخدرات والسلاح وما خفى كان أعظم..ويبين ان والمشكلة التى يعانى منها كل الوطن هو الاستسلام للواقع وعدم التحدث فيما ينفع بل ينقل مايقال له لا ما يمليه عليه ضميره أصبح الجهل صنعه لمن يريد أن يعيش حرا طليقا.

حراك أدبي حراك اجتماعي

ويرى الشاعر المغربي حميد يعقوبي انه عبر التاريخ لم ينسلخ الأدب عن الساحة السياسية والحراك الاجتماعي .فقد كان في قلب الحدث بل جزءا منه في التغيير والنقد .. ويرى ايضا ان الثورات العربية التي نجحت أو في طريق النجاح أو التي فشلت مازالت تلقي بظلالها على الساحة الأدبية إما مؤيدة أو معارضة وأحيانا محايدة ومترددة ..لكن أغلبها حاضر وبقوة ..ويوضح انه في عهد الإستبداد والحاكم الواحد كان المنتوج الأدبي يعاني من الرقابة والمنع والإقصاء ،بعد الثورات العربية عرف في ظل التحرر من القيود متنفسا واسعا للإبداع والنشر وصارت أحداث الثورات نفسها موردا خصبا للتعبير وإثراء الساحة الأدبية بمواضيع كانت بالأمس محرم الخوض فيها ..الا ان يعقوبي يرى وبحكم التجربة القصيرة في مجال الحريات العامة وحرية الكتابة في كل الأجناس ظل التعامل مع التعبير الحر ناقصا لان هذا التغيير المفاجئ مع نقص الخبرة جعل الأدباء منقسمين على بعضهم البعض خصوصا بين الجيل الجديد وممن احتكروا مناصب الظهور بأعمالهم الأدبية سنوات من مجاورتهم للأجهزة الحكومية ..ويعني هذا ظهور صراع فكري أدبي جديد بين الأجيال ..تتحكم فيه تيارات سابقة وأخرى متحررة من الوسيط الحزبي أو الجمعوي السلطوي ...قد يرى البعض أن هذا الإختلاف يؤثر سلبا على المنتوج الأدبي ،ومادته الأساسية الآن هي الحديث عن الثورة والسياسة والوطن والإبتعاد عن الجوانب الأخرى كالعاطفة الإنسانية والإجتماعية ..ويواصل بالعكس .فكل الأجناس الأدبية عبرت بتلقائية عن مواقفها كاملة بأساليب اختلفت عن فترة القهر والفقر والتجويع .وغيرت جلدها واستحدثت رؤاها وتطلعاتها مما استوجب معه تغيير أدواتها الإبداعية ..وهو ما حصل فعلا ..رغم بقاء بعض الأفكار المتخشبة في عقول القلة القليلة التي أبانت عن سلبيتها في تطوير المنتوج الأدبي شعرا كان أم قصة أم سردا أم زجلا ..والخلاف لا يعني العودة للوراء .. بل أنه أفرز حقيقة المطالبين بحقوق الإبداع الحر غير الملزم بالقرارات السياسية ممن لازال يراودهم الحنين إلى الإستبداد الفكري ونخبوية المثقفين .بمعنى آخر أن الثورة عموما أظهرت أصحاب الأقلام البيضاء من أصحاب الأقلام السوداء .الثورات أفرزت من يحمل شرف الكلمة وهو متسلح بالقلم ممن يحملون سيفا يرسمون به عبارات وكتابات لالون لها سوى ما استأجروا من أجله..ويجزم يعقوبي بان الثورات العربية جعلت للحضور الأدبي بكل أجناسه نكهة جديدة في الوطن العربي مهما تعددت الإختلافات ،فهي مسيجة بحرية التعبير المفقود سابقا ..وحرية النقد وتبادل الآراء مع الصحافة الإلكترونية والصحافة الحرة

لا ربيع عربياً

الشاعر المصري محمد رشاد يقول انه اذا كان السؤال عن الربيع العربي فأنا لم اقتنع أنه ربيع بل يمكن ان نطلق عليه الخريف العربي الذى يعرى الحكومات وتظهر ضعف الشعوب العربية وعدم تماسكها والحقد والكراهية التى نخفيها خلف ابتسامات مسطنعة.زويضيف ان الحكام العرب قادو ا شعوبهم الى تحقيق الاهداف الصهيواميريكة اما بطريقة مباشرة وأما بطريقه غير مباشرة احيانا. زويتسائل رشاد..لماذا قامت الثورات فى كل دولة تحمل لقب جمهورية ولماذا الصراع دائر فقط فى تلك الدول بعيد عن اى دوله تحمل لقب ممكلة..ويشير الى انه لم يجد جوابا فى المملكة الحرية والديمقراطية ام التابعية الى النظام الصهيونى امريكى فهى بتلك التابعية فى مأمن من الثورات..ويؤكد انه لا يوجد ثورات ربيع عربي بل هى لعانات على الوطن العربي ومشروع تقسيم له..اما تاثيرها على الادب سيكون سلبيا لان الذين يدعوا الكتابه لا تحكمه قيم أو مبادئ فأصبح كل شئ مباح

الأدب والانعكاس

القاص العراقي حمودي الكناني يرى طريقة اخرى للسؤال مفاده كيف نرى مستقبل الانتاج الادبي العربي بعد ثورات ما سمي بالربيع العربي ؟ ويرى حمودي انه ربنا يكون مجانبا للحقيقة لاني ارى واقعا تتغشاه الضبابية ان لم اقل الاحباط بعينه اذا ما علمنا ان ادب اي امة هو انعكاس لواقعها المعيش بعيدا عما تفرضه الحالة الانية لاي كاتب مهما كان جنسه عندما يكون في حالة توتر كتابي , فالفوضى التي خلفتها هذه الثورات في بلدان هذا الربيع الطويل القت بظلالها وحملها الثقيل على كاهل جميع الكتاب الذب يسيرون مع وضد ما حصل وما يحصل فمشاهد الدمار والخراب والدم المسفوح حتما يشكل المادة التي يستقي منها الكاتب ثيماته ولا اظنها الا ثيمات تغلب عليها سخرية سوداء من امال اقرب ما تكون الى اهام عاشت في مخيلة جيل كان ينتظهر تفتح زهور الربيع بدلا من تعملق غول الدمار والخراب الذي حتما سينعكس سلبا على الانتاج الادبي العربي برمته ..ويشير انه اذا كان ثمة امل شفيف فلنقل ان البعض ربما يتريث في رسم المشهد الذي يريد لعل الايام تأتي بجديد يجعل القلم نشوانا بما يملي عليه خياله حتى ولو من باب التمني.

مأساة الشعوب وجرائم العسكر في "حروب قذرة"

ترجمة: محمد خلف كباشي

تتركز جهود القوات العسكرية الامريكية المحاطة بالغموض والانكار على طرد واخراج الارهابيين فتعتمد هذه القوات بين حين واخر على القيام بهجمات بطائرات مسيرة لقتل عدد كبير من المدنيين الابرياء في بلدان لم تواجه حروبا حقيقية مع الجيش الامريكي كما هو الحال في الصومال و الباكستان واليمن . يسعى الصحفي الامريكي جيريمي سكاهيل جاهدا لكشف الكثير عن انشطة قيادة العمليات الخاصة المشتركة (JSOC) في أفغانستان , وحينما قتل اسامة بن لادن في عام ٢٠١١ انتاب سكاهيل قلق وذلك لتجربته الخاصة بمرافقة قيادة العمليات الخاصة المشتركة .

لقد دفعت مشاهد الغارات الليلية لطائرات دون طيار وعمليات القوات الخاصة لبعض الصحفيين الليبراليين الى انتاج عدد من الافلام السينمائية الوثائقية التي توضح حقيقة وحجم المأساة التي تخلفها تلك الغارات ولعل اهم تلك الافلام هما فلم " حروب قذرة " و"العالم ساحة حرب".

ان الفكرة الاساسية للحروب الامريكية على الارهاب تكمن في التزام المسؤولين الامريكان المنتخبين بتبني استخدام تكنولوجيا عالية الكفاءة لمجابهة الارهاب باستخدام هجمات بطائرات دون طيار واقتحام المنازل وعمليات الاختطاف والتعذيب في جميع انحاء العالم للحفاظ على امن امريكا الامر الذي ادى في نهاية المطاف الى تصاعد موجات جديدة من العنف والارهاب اثر قيام تلك القوات بقتل العديد من المدنيين الابرياء حيث استهجن بعض الامريكان فكرة العيش في دولة يقودها الارهاب .

يعرض فلم " حروب قذرة " مشاهد سابقة لبعض الحقائق الدامغة بالصوت والصورة وبعيد عن مفاهيم الاستثناء الامريكي ومفهوم الحرب باعتبارها شرا لابد منه . اختار المخرج ريك رولي الاسلوب القصصي في مكان ما في افغانستان في عام 2012 من خلال تلفزيون " الواقع " حيث يتم تدوين مقابلة مع بعض الاشخاص والشهود من خلال افلام وثائقية تدين بشكل قاطع اعتداء القوات الامريكية على المدنيين الابرياء .

قصة الفلم

يقوم (جيريمي سكاهيل) , الصحفي المستقل الذي اشتهر بتغطية حربي العراق وافغانستان وكتابه الشهير الذي تناول فيه فضائح شركة " بلاك ووتر " وصعود اقوى جيش من المرتزقة في العالم , بدور الراوي في الفلم اذ قلما نراه برفقة القوات الامريكية في جولات متفرقة في الاراضي الافغانية , وغالبا ما يغامر خارج افق حلف شمال الاطلسي " المناطق

الخضراء " ليتحدث مع الناس من خلال لقاءات عابرة حول اوضاع المدنيين , يتميز سكاهيل عن بقية الصحفيين بامتلاكه مساحات حرة وطليقة لتوثيق حجم والوان الظلم في تفاصيل دقيقة يرسلها الى القنوات الفضائية حيث غطى سابقا احداث حرب العراق, تابع الفلم انشطة (قيادة عمليات الخاصة المشتركة JSOC) حيث كلفت قوة قوامها سرية تابعة لهذه القيادة لم يكشف عن اسمها بمداهمة المنازل في منتصف الليل وقتل " الارهابيين المشتبه بهم " جنبا الى جنب مع النساء والأطفال الذين كانوا يعيشون معهم . يزور سكاهيل واحدة من هذه العوائل التي قدمت ادلة دامغة على ان القوات الامريكية قامت باختطاف وقتل اقاربه ولا علاقة لطالبان او تنظيم القاعدة بهذه الجريمة . ان رب الاسرة الذي اغتيل في عتبة منزلة مع ثلاث نساء من اقرباءه كان يعمل سابقا قائدا في الشرطة الافغانية برفقة جنود امريكيين ومن خلال اشرطة الفيديو العائلية التي اخذت بواسطة كاميرا موبايل في وقت سابق لتوثق ليلة قتل الضحية وهو يرقص في غرفة المعيشة المزدحمة ليشارك احبائه في احدى حفلات الزواج .

اراد سكاهيل معرفة ما العلة وراء تسديد القوات الامريكية مثل هذه الضربة على المدنيين وبتوجيه من قيادة العمليات الخاصة المشتركة (JSOC) , يقول سكاهيل " ليس من السهل الحصول على معلومات حول حجم التمويل والاساليب التي تنتهجها هذه القيادة ونطاق انشطتها , بدأت هذه القوة الخاصة وكأنها فريق واحد لإنقاذ الرهائن في عام 1980 . كشف سكاهيل وصحفيين اخرين حقيقة نشاط هذه الفرقة في عهد الرئيسين بوش واوباما , التي اختصت بالاغتيال وخطف منافسيهم من امراء الحرب في العالم الثالث .

نقطة تحول

في اليمن يتحدث سكاهيل مع والد المواطن الامريكي انور العولقي ومن خلال هذه المشاهد يظهر العوقلي اذ كان رجل دين مسالم وفي ذات الوقت متعاطف مع ضحايا الولايات المتحدة في احداث 11 ايلول الا ان الهجمات التي شنتها الولايات الامريكية على اليمن عبر طائرات مسيرة قتل على اثرها ولده في احدى هذه الهجمات هي تعد هذه الحادثة نقطة تحول بالنسبة الى العولقي الذي شجع الجهاد ضد الغرب ومع تخويل عام 2001 والتي سمحت امريكا لقواتها العسكرية من خلاله باستخدام القوة للتخلص من اي مواطن امريكي مشتبه وله صلة بالإرهاب , حيث قامت هذه القوة بإطلاق صاروخ نوع " هيلفاير " على منزل العوقلي وقتلت اعداداً كبيرة من المدنيين وكان من ضمنهم ابن العوقلي ذو 16 ربيعا , وتبين ان المخابرات الامريكية " CIA " كانت تخطط لقتله .

إن جرأة سكاهيل وروليِ، اللذين ليسا غريبين عن مناطقِ القتال، حملتهما إلى أبعدَ من كابول في أفغانستان، جنوباً إلى مدينة غارديز، في مقاطعة باكتيا، التي تعجّ بأفراد طالبان المسلحين، وحلفائهم بهدف اجراء تحقيق في واحدة من ألاف الغارات الليلية التي نادرا ما تتناولها وسائل الإعلام .ان ما رواه سكاهيل عن تلك الغارة حيث قال " حصلت قوات العمليات الخاصة على معلومات استخبارية تفيد بان خلية لطالبان مجتمعة للتحضير لتفجير انتحاري . فما كان من تلك القوات الا ان اغارت على المنزل في منتصف الليل , لينتهي بها الامر الى قتل خمس اشخاص بينهم ثلاث نساء , واحد كبار قادة شرطة الافغانية الذين تلقوا تدريبهم على ايدي الامريكيين "

كشف الفضائح المأساوية

ان عمل سكاهيل يستحق كل تقدير واحترام ولم يفكر يوما بدعم اشخاص له وبل حاول تسليط الضوء على احداث حقيقية وتدوينها . ان رواية الصحفي سكاهيل اثبتت في اثارة واستفزاز وسائل الاعلام الرئيسية وتحقيقات التي يجريها الكونغرس وذلك لأهمية قصة الفلم غيران احساسا وشعورا بان شيئا ذا قيمة ضاع من خلال لمحات السرد. يحاول صناع الافلام مواجهة وكالة المخابرات الامريكية ودعم البنتاغون والدعاية الهوليوودية لزرع ثقة مباشرة ورؤيا واضحة لسرد الاحداث بدلا من البهرجة الهوليودية الصارخة والإغراءات المجوفة يكشف فلم " حروب قذرة " بشكل درامي الفضائح المساوية الكبيرة في افغانستان . ترسم كتابات سكاهيل وصور رولي البارعة صور حقيقية شاملة غير مشرفة لهذا العالم الجديد , عالم قيادة العمليات الخاصة التي تعد صناعة الالم والمعاناة ساحة حرب .

فيلم الرسوم المتحركة ذات الابعاد البصرية؟.
هاستا سانتياغو يفوز في مهرجان طرابلس للافلام

طرابلس – لبنان: ضحى عبدالرؤوف المل

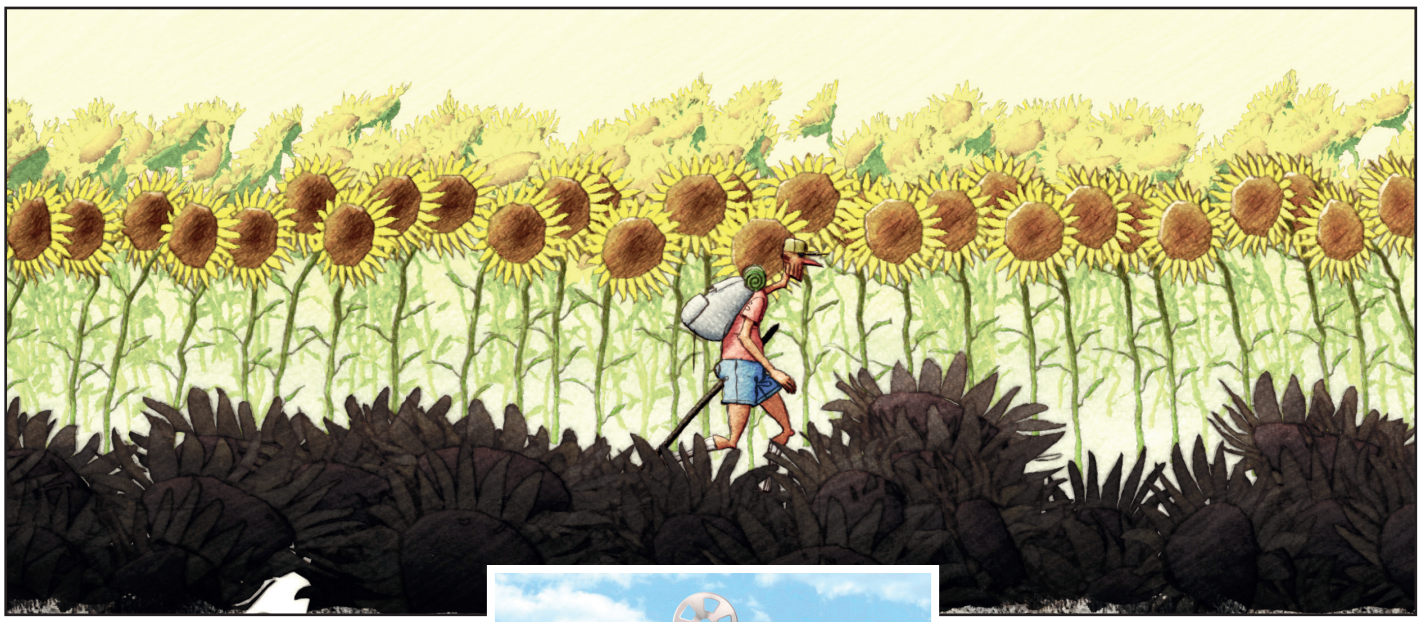

يؤطر " مورو كاريرو " (MAURO CARRARO) (رسومه المتحركة قي فيلمه " هاستا سانتياغو(HASTA SAN-TIAGO)" ليضعها ضمن فضاءات واقعية متخيلة من رحلة انسانية لا نحتاج من خلالها الى حمل الحقائب ، وقد نحملها وفق تناقض مبني على احتياجاتنا الاجتماعية التي نحمل اوزارها وراثيا ، ربما نتمرد وربما نتوافق مع الاخرين . الا ان بين هذا وذلك نستمتع برحلة مورو وسط مفارقات تصويرية ذات حركة تنسجم مع الموسيقى التصويرية التدريجية بنغماتها البصرية المتوافقة مع حركة الصورة التي تحمل في طياتها العديد من المعاني الانسانية ، ولكن قد نلجأ للقيام بالعديد من الرحلات في تخيلاتنا التي نرسمها في فضاءات ليلية او نهارية حين يفيض الاحساس بالتعب من رحلة الحياة نفسها. لننتفض ونحاول العبور وفق طريق نلتقي به مع اشخاص نضيف عليهم ويضيفون علينا، فهل هذا ما حدث ما " مورو كاريرو" ليبدأ رحلته مع الرسوم المتحركة ذات الابعاد البصرية؟.

تقنية رقمية ومؤثرات بصرية حافظ من خلالها " مورو كاريرو " على جمالية الالوان المائية الهادئة. لفيلم يتميز بالقدرة على الامساك بنقطة التقاء الحركة المتوافقة مع الفكرة المنطلقة من رحالة بسيط مشى ليلتقي بالعديد من الاشخاص او حتى الكائنات، ومع الكثير ممن هم مثله او مختلفون عنه. الا انهم يحملون الافكار المتشابهة والمتناقضة، وبرغم ذلك ان رمزية العصا والحقيبة هي الاثر الراسخ في الذاكرة الطفولية عن رجال الدين وحكاياهم، والطرائف التي تحدث معهم اليس هذا ما نسمعه في قصص ما قبل النوم؟ ام هو السير مع القديسين تبعا لهواجس لم نفكر بها او هو ما نحمله في طيات انفسنا؟

يحاكي الفيلم جوانب عديدة من حياة نتجه فيها نحو طريق واحد يؤدي بنا نحو طرق مختلفة قصيرة ، وربما طويلة لكنها تحتاج للتأمل والصفاء واحيانا لخوف وامل ورجاء ومحبة ولجوء الى الله ، فالتوليفات التصويرية تميزت بمحاكاة حسية بصرية مؤثرة في النفس. ليرسم ضحكة رشيقة على شفاه المتفرجين، فابعاد التحريك المرن خفيفة الظل وتندمج مع الرسومات بديناميكية

رقمية تنتج عن دقة في التقاط الحركة ، والتأطير المتعاقب مع شفافية مرئية تترجمها الحركة وتساعدها الموسيقى المتوائمة ايقاعيا مع هذه الحركة الملفتة في اسلوب واقعي اسطوري. اتخذ منحى التحريك الرقمي المبني على نفطة التقاء الحركة مع النقاط الاخرى، كالموسيقى والالوان والرسومات والخطوط. ليجمع " مورو كاريرو " في فيلمه مؤثرات ذات فضاءات افتراضية تتماشى مع زمنية الرؤية الجديدة في الحياة المعاصرة، ومع الالتزام بما رسخ في ذاكرة كل منا.

يمجد الفيلم طريق القديس" سان جاك " وما يحمل من معاني روحية ودينية ، ولكن ايضا يحمل مفارقات تتضح في العديد من الصور الحركية المدمجة مع بعضها، فأحيانا نرى أزهار دوار الشمس تتجه نحوه بتمايل موسيقي، وكأن الحياة في الانسان هي رسالة لكل الكائنات ، واحيانا اخرى يجلس على قمم البيوت العالية ، وهذا يحافظ على التخيلات المبهمة في فيلم ما هو الا تتبع اثر لقديس مشى على طريقه العديد من الاشخاص ، ولكن كل حسب رؤيته الخاص كما مشى عليه " مورو كاريرو " وفق رؤية انتجت فيلما سينمائيا هو مجموعة رسومات خيالية واقعية ورمزية ملونة مائيا مع الباستيل الرقيق في مشاهد عاطفية ، دينية، اجتماعية، بيئية، طبيعية او انطباعية، ولكن بالنهاية اسطورية او ميثولوجية خصوصا في شكل المثلث المتماشي مع الراهبات والالوان التناغمية، والراقصة مع الحركة والتغمة ونقاط الالتقاط وعدد الرسومات في مدة12 دقيقة و45 ثانية . افكار مستوحاة من التراث الديني او بالاحرى القديس جاك ، وهذا هو المعيار الحقيقي الذي يحاكيه الفيلم. لأننا في النهاية نتبع الاثر ، ونحمل الحقائب ونحتاج لمساعدة عصا. لنمشي بين الدروب في سعادة وتأمل ومصالحة مع الذات او ان نتخلى عن كل ذلك، ونترك ميزة الاكتشاف تغلف كل طريق نسلكه نحو حج او نحو اهداف اخرى لا نعرف ماهيتها ما لم نسير في طريق ما. ان المشي لدقائق في فيلم اسطوري بالطبع لا يتشابه مع الطريق الديني الذي مشى عليه الحجاج . الا اننا نسير في طريق الحياة بازدواجية كتلك التي نظمها " مورو كاريرو" بتناقض رياضي (طويل، قصير رفيع عريض، سمين ، نحيل) وما رافق هذا من تناقض في الالوان ، والاساليب التخيلية كالنوافذ التي تغلق وتطير شبابيكها او كالزهور المتمايلة او كالجرذان التي نمتطيها في احلامنا او حتى في واقعنا ، كالاختبارات العلمية التي تجرى عليها ولكن كل هذا في حركة مستمرة شبيهة بحركة زهرة دوار الشمس التي تتبع الشمس او تميل وفق موسيقاها الخاصة.

يحاول " مورو كاريرو" في فيلمه ذي التقنية الرقمية، والمحمل ببساطة فكرة تحمل في طياتها الكثير من الدلالات، تمجيد الاثر الديني للقديس جاك ، وللمزارات او تحديد نقطة التقاء تبدأ وتنتهي عند مزارات دينية التقطها حركيا وتوجها بموسيقى تصويرية واغنية حملت كلمات توحي بمعنى الفيلم الذي فاز في العديد من المهرجانات عامة، وفي مهرجان طرابلس للافلام خاصة.

استدراك

علاء المفرجي

القراءة التي راح ألبرتو منغويل يفلسفها ويتقصى وضعها، تاريخها، يومياتها، وفنها، والأهم متعتها، هي بالنسبة لي تاريخ شخصي من جهة إشارتها لأحداث وأشخاص تختزنها الذاكرة: صبي يحاول فك أيروتيكيات مورافيا، ليعنف من شقيقه الأكبر في أن الوقت لم يحن لولوج عالم مورافيا، بينما ثنية الورقة في صفحة 177 في كتاب وليم شيرر (تاريخ ألمانيا الهتلرية)، تعني الكلمات التي استقرت في عين أبي في إغفاءته الأخيرة، في حين تؤرخ كتب بعينها لمرحلة الحماسة الثورية منتصف السبعينات. وهكذا على امتداد أكثر من ثلاثة عقود.

أظن أن شغفي بالقراءة بدأ يوم قرأت ما قاله طه حسين من أننا أمام جيل يكتب أكثر مما يقرأ، ورغم أنني كنت في سن لا يؤهلني للكتابة التي يعنيها أحد أساطين الأدب العربي الحديث، إلا أن ذلك لم يمنعني من قبول تحدي القراءة.

الأدب الثوري.. هكذا كنا نلقن، ولكن لا بأس إن كانت شخصية (بافل) في روايتي (الأم) أو (الفولاذ سقيناه) هو من سيقودنا إلى (الأدب اللا ثوري) هناك، حيث سنتعرف على ديستوفسكي، ومنه إلى حكمة ميشكن في رواية «الأبله»، وأزمة (راسكولنيكوف) في «الجريمة والعقاب» وطهارة (أليوشا) وطيش (ديمتري) في «الأخوة كرامازوف». هؤلاء الذين يعيشون جميعا أشكالا متباينة لمعاناة وحيدة: هي التأنسن، كما يرى ستيفان زفايج.

لم تسلبني السينما شغف القراءة بل على العكس وضعتني أمام طريقة جديدة فيها. هي لم تشل الفاعلية الإبداعية للنص لكنها أيضا أضاءت المناطق المعتمة فيه.. صرت أقرأ وأرسم في الآن نفسه، أقرا وأنا أتخيل الوضع الذي يتجسد أو سوف يتجسد فيه النص المكتوب حياة وصورا. القراءة هنا منتجة بالفعل.

رواية «الحرب والسلام» التي استهلكت مني مراهقا ليالي طوالا، حيث الحدث الأهم في تاريخ روسيا مثلما رواه شيخ الرواية الروسية تولستوي، معالجة مخرج عظيم مثل الروسي بوندارشوك للسينما أتاحت لي قراءة جديدة لهذا الأثر الأدبي الخالد. اكتشف فيها ما قاله تولستوي عن الرواية من أنها أقل تماما من قصيدة، ومع ذلك فهي أقل من تاريخ.. وهو ما لم أكتشفه في قراءتي الأولى لها. الأمر نفسه سيكون مع مارغريت ميتشل و«ذهب مع الريح».

القراءة إذن اتخذت عمقا آخر مع الصورة، وصار لك أن تقف مع فيلم مبهر عند سيناريو يعين الكاميرا على المعالجة.

وكان من سوء أو حسن حظي أن أشاهد رائعة الأفغاني عتيق رحيمي (حجر الصبر) فيلما قبل قراءة الرواية وهي بالأصل الرواية التي حظيت بامتياز غونكور الجائزة قبل أن يعالجها رحيمي نفسه في فيلم ولا أروع.. في قراءة الرواية نقف عند جمل قصيرة، وسرد يعتمد المونولوغ الداخلي، والتقطيع السينمائي، وعندما نقرأها فيلما لعتيقي نفسه، نعثر على الأسلوب الأدبي، واعتماد الحوار، وكما في الرواية ينساب الحدث مع كل لقطة. مؤلف الرواية ومترجمها للسينما يعيننني في (حجر الصبر) في شكل القراءة.. هي رواية تتحدث فيها الزوجة عن مصير زوجها الراقد صامتا، والمصاب بالشلل على إثر رصاصة من رصاصات الحرب، ذكرياتها الموجعة، المؤلمة حد الجنون، تتداخل فيها التعاويذ والتمائم وآيات القرآن الكريم، والحب الذي لا ينطفئ أواره. هي أيضا عن المأساة والكوارث التي يعاني منها الشعب الأفغاني على مدى أكثر من ثلاثة عقود.

تنويه

ورد في العدد السابق خطأ موضوعا سينمائيا للناقد ابراهيم حاج عبدي بدل عمود (استدراك) للزميل مدير التحرير ، لذا اقتضى التونيه والاعتذار للقراء وللناقد عبدي.

إيليا كازان

مخرج مكافح حتى في رسائله

ترجمة: نجاح الجبيلي

إن كتاب "حياتي" لإيليا كازان الصادر عام ١٩٨٨ يبقى على نحو جدلي أشد المذكرات الخام بحثاً عن الروح والتي كتبت عن مهنته في تجارة العروض. وتبقى قصته مستقطبة سواء بسبب ورود اسمه في "لجنة النشاطات المعادية لأمريكا" أو صراحته عن الألم المسلط على أولئك الذين أحبوه.

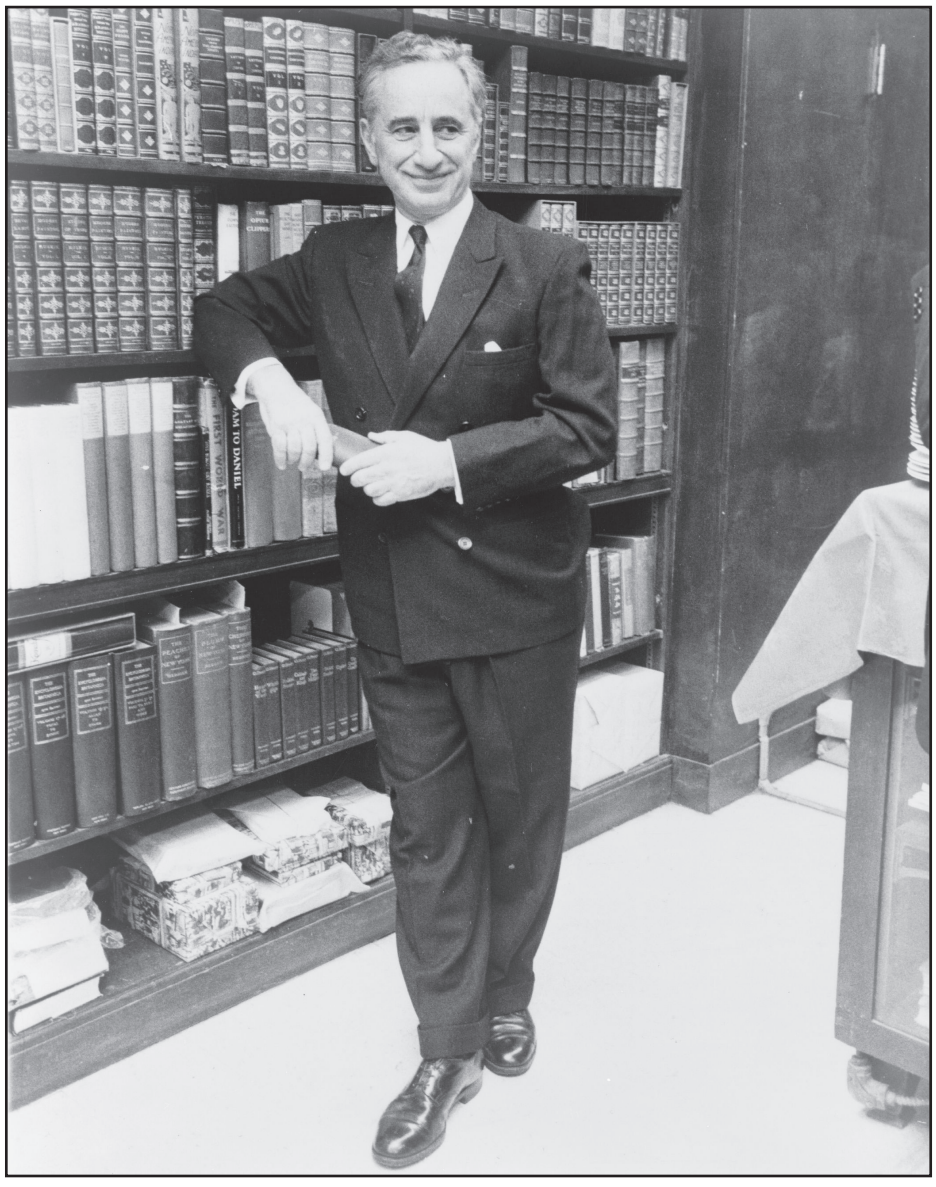

يصف الكتاب أيضاً أحد أعظم المخرجين على المسرح والسينما في العصر الذهبي. إذا كنت قرأته فمن المحتمل أن لا تحتاج إلى التذكير بما فيه:" على جبهة النهر" و" عربة اسمها الرغبة" و" وجه بين الزحام" " شرقي عدن" " قطة على سطح من صفيح ساخن" و" موت بائع جوال" سواء على المسرح أو كليهما بين السنوات من عام 1949 حتى 1957. تتضمن مذكراته أوصافاً هادئة لتلك المشاريع والعديد من الدراما الشخصية. وثمة كتاب آخر هو "كازان والإخراج" – 2009 يقدم ملاحظته الدقيقة على نحو نموذجي عن أفلام محددة. لقد كان دائماً شديد التمسك بالدقة حتى مع نفسه.

والآن صدرت مقطوعة مصاحبة جوهرية جديدة بأسلوب مختلف جداً: الرسائل التي تظهر الطفل الطموح الصلب بنضجه وسذاجته على نحو بارع ويدوي إذ كان كازان يتعلم الحيل لمهنته المختارة.

يدلّ محررو كتاب "الرسائل المختارة لإيليا كازان" على أن الرسائل غير ممنوعة عن طريق"الحاجات الرسمية للتسجيل التاريخي ذات النطاق الواسع" ،وهي الطريقة التي كانت فيها المذكرات، ولهذا السبب فإن هذا الكتاب أكثر نضجاً وواسع النطاق. وذلك ببساطة ليس صحيحاً: الرسائل هي في كل الخريطة لكن ذلك لا يجعل منها مضيئة تماماً. فيجب حقاً قراءة كتاب "حياتي" أولاً لأنّ هناك الكثير جداً من القسوة الشخصية التي لم يناقشها كازان، المتوفى في سنة 2003 عن عمر 94 عاماً، مع المتراسلين معه مثل "شيرل كراوفورد ولي ستراسبرغ وتنيسي وليمز وداريل ف. زانوك وكليفورد أودتس.

لكن مع وجود السياق المتاح في كتاب "حياتي" تصبح الرسائل فاتنة. فهي تظهر طريقة كازان الدرامية في إثارة الاهتمام من جملة الافتتاح ("عزيزي مارلون: لا أستطيع التظاهر أنه من السهل والبسيط أن أكتب إليك") وكذلك تظهر العديد من استراتجياته في الحصول بالضبط على ما يريد؛ بالنسبة لشخص يحوّل حقده على هوليود إلى لازمة جارية فهو رجل أعمال حاد عرف كيف يفاوض في الصفقات التجارية البارعة.

إنها تصور تحليلاته لعيوب مسرحية أو سيناريو بطرق كان الغرض منها أن يحسنها وبالأخص حين حاول أن يترجم أفكاره إلى أي لغة يستطيع أي ممثل يتبعها. تظهر بشكل صريح نرجسيته التي جلبها لزواجه الطويل من "مولي دي تاتشر" الذي يستحق سيرتها الخاصة في يوم من الأيام.

كتب لها بعد أن اعترف لها بعلاقته مع مارلين مونرو :" إذا ما طلقتني سأخبرك بشكل واضح بأني سأتزوج حالاً مرة أخرى ويصبح لديّ الكثير من الأطفال. اشعر بأني رجل عائلة وأرغب بعائلة وأنا رجل طيب جداً. لا أهتم بتقييمك لهذا الأمر. اعتقد أني أرى العالم حولي بوضوح شديد أكثر منك أو من أي شخص آخر فيما يتعلق بهذه المسألة".

ومع ذلك فهو لم ينقطع أبداً في الكتابة إلى "مولي" الذي لديه منها أربعة أطفال وزواج تكافلي عسير عقداه معاً، كي يسألها تغذية استرجاعية عما يدور في ذهنه من مشاريع جديدة. ولا هي تجنبت التورط في حياته المهنية. كان قلقاً حول مسألة الصحيح والخطأ، ثم تحول إلى التأكيد الطنان بأن مهما كان الفعل الذي يختاره فهو الشيء الصحيح. وحول شهادته أمام لجنة مكارثي كتب لها:" لا أتوقع أنها تظهر كلها في يوم من الأيام. لا اعتقد. لا أظن أن هناك أي "طريق للرجوع" من هذا" لكنه أضاف:" لكني فخور بما فعلته".

هذه الرسائل رنانة وقابلة للقراءة حتى لو أن المجموعة تبدأ بشكل بطيء – لأن أيليا الشاب التركي الأصل بدأ بإرسال ابتهال من الشكاوى إلى أستاذه السابق في الصف الثامن في نيوروشل بولاية نيويورك. وتطلب الأمر فترة وجيزة كي يطور صوتاً رسائلياً مريحاً لكنه ضرب خطوته الواسعة بشكل سريع نسبياً. من الصحيح أن أولئك الذين لا يأتلفون مع مسرح الجماعة في منتصف الثلاثينات- وهي السنوات التي حققت لجنة مكارثي أخيراً مع كازان- أصابهم الضرر لكن "الرسائل المختارة" إسهامة قيمة في تاريخ المسرح.

خلال الثلاثينات سافر كازان بشكل واسع بما يكفي كي يقنع نفسه بأن المسرح يجب أن يمسك بقوة الحياة لا أن يكون على وشك أن يفقد تعقبها. كتب إلى "مولي" من تكساس:" المسرح العظيم يجب أن يكون باباً مفتوحاً من خلاله تجري الحياة مثل الجدول. وحين يغلق الباب فإن المسرح يصبح مسرحاً بمنطق برودواي وهذا أمر وضيع". ومع ذلك فقد امتلك المرونة الأخلاقية التي وجهت لها سهام النقد كي يصالح ما بين تلك الاعتقادات والنجاح الضخم في برودواي بعد قلة من الشهور.

ومع ذلك فإن هذه الرسائل تظهر كازان وهو يخلق مخططاً لنوع من العمل اعتقد بأنه مهم والاستمرار بالنجاح ما وراء توقعاته الأشد تطرفاً. تصور الرسائل أيضاً النقطة التي فيها رأى عملاً مأجوراً في مستقبله وكانت لديه البصيرة كي يدرك بأن نجاحه العظيم قد بلغ نهايته. يمكن أن يصنع النجاحات ربما، لكنه توقف عن استكشاف موهبة جديدة وأراد أن يتحرى حدوداً جديدة. ربما كان جيل الكتاب الذي عرفهم بشكل أفضل لا يمكن استبدالهم بالنسبة له؛ ربما كانت ثقافة عام 1976 ، وهي السنة التي أخرج فيها فيلم "الزعيم الأخير" بطولة روبرت دي نيرو، قد نمت بشكل غير مألوف. لكنه حول اهتمامه إلى الكتابة ونشر العديد من الروايات الناجحة ومن ثم المذكرات. بعد ذلك قدمت الرسائل غرضاً أقل لهذا فهي تباطأت أيضاً.

حين نشر كتاب "حياتي" فإنّ إحدى المراجعات (التي استشهد بها محررا الرسائل لكنهما لم ينسبانها لأحد) سألت كيف أن الكتاب ربما ظهر بشكل صريح جداً لكنه كان في غاية البراعة. إن الرسائل المختارة تقدم بعض المفاتيح لذلك اللغز والعديد من التبصرات الجديدة في الرجل الذي نجح في أن يكون محط أعجاب أو مكروهاً من قبل كل فرد عرفه. فهو لم يختر أبداً أن يترك أي شخص على السياج.

مراجعة: جانيت ماسلين / صحيفة نيويورك تايمز
الرسائل المختارة لإيليا كازان
تحرير: ألبرت. ج. دفلن ومارلين ج.دفلن
مصور ٦٤٩ ص ألفرد أ. نوبف

بنية الدهشة في قصائد (ما تساقط بل أوشك للشمس) لماجد موجد

علي لفته

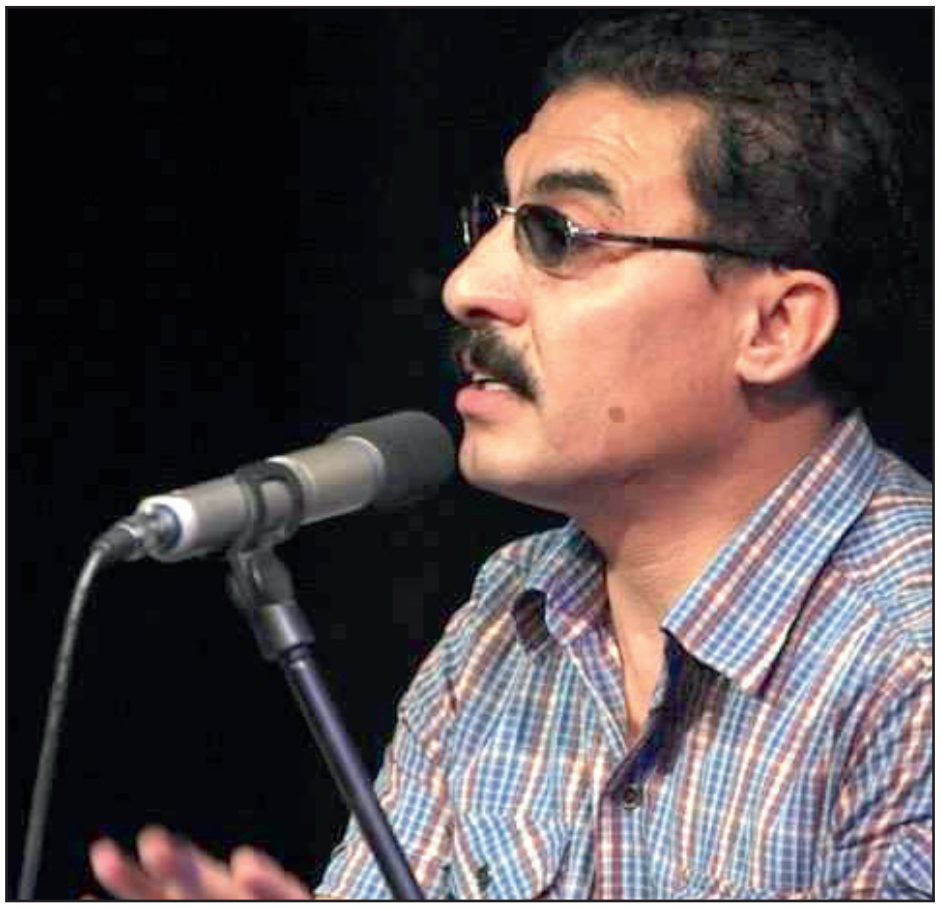

كيف نفهم قصيدة النثر..؟ أن الإجابة هنا ستكون متعلقة بالنص ذاته بعد أن تجردت قصيدة النثر من ثوب الشعر (التقليدي) الذي انغرز في ذائقة المتلقي على مدى قرون والمعتمد على النظم الموسيقي والتصوير الخارجي للمفردة لان القصيدة العمودية أخذت على عاتقها الانطلاق بتوهج الذائقة المتلقية في اللحظة المباشرة من خلال الثنائية الحاضرة (موسيقى + معنى خارجي) في كل بيت شعري وحتى عندما ولدت قصيدة التفعيلة (الشعر الحر)على يد روادها السياب والملائكة، لم تخرج من هذا الثوب إلا لترتدي ثوبا أكثر اتساعا ليعطي الحرية لحركة الشاعر ان يتوج مع الاتجاه نحو تحت السطح او التغلغل بصورة سهلة الى الاعماق ، لكنها بقيت محافظة على إرثها التاريخي المعتمد على ذات الثنائية برغم تفتح المعاني الى انزياحات أخرى لا تخرج عن كونها قصيدة عمودية مفتتة كما يذهب الى هذا الرأي بعض النقاد وما يطرحه شعراء قصيدة النثر ايضا باعتبار ان قصيدتهم الجديدة ازاحت هذا الركام الابداعي والتغلغل في الذائقة والذاكرة لأنها تريد أن تنطلق بذاتها.لها في كل ساعة ثوب ولها ان تواكب التغير الحاصل من بساطة الحياة الى التعقيد الحالي وان تلج الصراعات والتحليلات وحتى التطور التقني والعلمي ولان هذه المسميات استطاعت بعد الاعتماد على جوهر الاشياء اي التوصل إلى اصغر العلاقات التي تربط ما يحيط بالانسان لتصل بالتالي الى مبتغاها فكان لابد ان من خروج قصيدة النثر الى النور لأنها تحاكي المعنى الداخلي..تتصل بذرات العقل خارج منطقة الوعظ والحكمة والتصوير..بل لأنها تريد ان تكون لنفسها شبكة علاقات معقدة تجعل من القارئ أن يتسابق مع مدخولاتها وثرواتها من خلال التمعن في الجوهر بالصورة التي تهز القارئ لحظة القراءة وتجعله يتماهى مع المفردة ذاتها..أي أن لقصيدة النثر من الدهشة ما يفوق وقت القراءة وبالتالي سحب القارئ إلى منطقة التحليل وتشكيل لحظة التاويل التي تقوده الى رسم قصديته العالية.

أسوق هذه المقدمة وأنا أقرا مجموعة الشاعر ماجد حاكم موجد المعنونة (ما تساقط بل أوشك للشمس) متفحصا بنية الكتابة ومتأملا ما تحويها من قصائد نثرية تختلف في سياقاتها عند الاخرين وأتساءل..هل حقق الشاعر ما تريده منه قصيدة النثر؟. هل توفرت عناصر الدهشة في نصوصه الشعرية..بدءا ستكون الاجابة في حالة ازدواجية بتجربة شعرية شابة في لحظة اصدار هذه المجموعة التي نرى فيها انه أراد أن يصنع دهشة تبدأ من عنوان المجموعة إلى عناوين القصائد التي ربما سيجد القارئ صعوبة في تلقفها لان التشظي اللغوي في هكذا عناوين تحتاج الى قارئ نخبوي

(خارج رهبة المستقيم/والتراب الناسخ خيوله للخيزران..ننهب الطريق/ميثولوجاي وأقول وأسكت) وهو الامر ينطلق على عنوان المجموعة.

أن بنية الكتابة نجدها لدى ماجد فيها من الحسنات ما يفوق السيئات ولان الحسنة بعشرة أمثالها فلنا ان نحدد نسبة النجاح .

أن قصائد ماجد أراد لها أن تبدأ من عنوانها فهو معني بلحظة تصادم المفردة مع التأويل لتشكيل عنصر الدهشة وبالتالي بلحظة أنية لتخترق ذهن القارئ ولان اللحظة هي جزء من زمن فإن لعبة بناء النص جاءت على اساس تفتيت الزمن، مبنيا على كاهل تلك اللحظة ..ولنأخذ استهلالاته

(هاهي شهوة الشباك تعرقل دنا هاربا
والجسر وسبع سنين وبلاد
صليل المسامير.يرهب الذئب من قبل
أو..رمم لحظة الممكن
غابة..ها أأخذ البحر وأولاده إلى ..
بأضلاعه لف وجه الغروب)

أن هكذا استهلالات تعطي مدخلا استدلاليا ويعطي حرية أكثر للشاعر في أن يختار ما يراه مناسبا للخروج من معترك اللحظة الآنية التي سيمت في الذهن قبل التدوين..أي أن الاستهلال يكون حاضرا قبل أمساك القلم ليكون بابه الأول (عكس) السور الأخرى التي تكون غائبة جزئيا أو انها مضببة في لاوعيه الكتابي,.لذلك فهو يتجه إلى مغارة الماضي دائما وأحيانا قليلة إلى المستقبل ، لان الماضي معروف مخزون في الذاكرة..بينما المستقبل بقي لديه في حقل التمنيات لذلك فهو يعتمد على هكذا معادلة ليصحح معاناته وأخطائه.. مداخلاته وعلاقاته العافية ولان ما يشكو منه ليس له شفاء في منظوره الشخصي..فنراه قد تعكز على تضمينات قرآنية وبلاغية قتراكيبه تشي بذلك.. فجاءت ملفوظاته لتخالف المألوف بعصيانها وتمردها مستخدما الافعال طريقة للولوج الى انعكاسات تلك المعاناة وهو يقف امام مرآة الشعر فيرى كل شيء أمامه يخالف طموحاته..ويصعب من آلامه لأنه يستهلك هذه الاشياء بصيغة مفردة المتصادمة ليصل الى دلالة قادرة على فعل شيء لدهشة القارئ..فنراه يعطي تعريفات متصادمة أحيانا بل متنافرة في أخرى ليهيئ طريقا لقصيدته

(يقول للنار أتسعي
تشب الثقة بالسؤال) ص12
(زمنا ينتهي عن مروءاته- بدأت- أن الانسان في
الملح والدخان والتعب) ص14
(رأوا غيمة وخيمة – تهرب وتحترق) ص15
(كاد يشير للقرون – حقب تزدهي بالحجج)
ص12
(على كل باب بابها – يدلهم السراط)ص19
(هم أخوة وهو العواء ذاهبا والعواء) ص30

أنه أدرك أن لعبة الشعر تنبع من هكذا بنية وإلا لم يكون النثر شعرا فأفعاله مرة تندمج بجملة كاملة او بجملة مبتورة جاعلا بينهما شارحة أو فارزة كأنه يمازج بين السرد القصصي ولعبة النثر الشعرية حتى في النقاط المتصلة كفواصل جاعلا منها فقرة تشبه (المسكوت عنه) في القصة أو لغاية فنية تتطلبها لحظة الانتقال من المشهد الاول الى المشهد الثاني برغم ان بعضها جاء بصورة عفوية تحتاج إلى لحظة تأمل من قبل الشاعر ليكون أكثر وعيا بما يكتب..لأن بعثرة الزمن على جسد قصائده جاءت وكأنها حالة واحدة أي أن أي مقطع بالإمكان إزاحته دون أن يؤثرعلى تركيب القصيدة وإذا وضعناه في قصيدة أخرى ..لن نشعر بالاختلاف لذلك فإنه أخفق هنا بإطالة هذه التركيبات – التعريفات لان وعيه قد توقف عن نزف معاناته ولم يعد بمقدوره تمييز هذه القصيدة عن تلك وكأنه كان يريد أن يقنع القارئ بأن معاناته وقلقه وألمه حقيقية ، لا تشبه ألم الآخرين وهكذا جاءت النتيجة..هو أنه لو استمر بفتح أبواب جديدة ..فأنه لن يعود أدراجه براحة تامة بل بعد لهاث طويل فهو يسلك طرقا صعبة التركيب..حاول أن يجعل من اسئلته الكثيرة أن تعلن عن دهشتها بوضوح ليضع علامة دالة على استنفار قواه لتحليل مستويات الابداع ولتكون اسئلته قادرة على أن يجيب القارئ عليها.

(من رأى حزمة من نهار- تنتبه في سماواتنا النائمة)
(ماذا هنا في الليلة الصامتة- نكشف بعد إذ) ص14
(ألا ترين – رأى لحزن يظفر نجمة ميتة في الشوارع) ص16
(من كبيرنا – نوه للإلهة الفساد)ص19
(لم يعد الرصاص يوهن..- لماذا إذا – تقول للناس: أن الناس..كفى) ص20
(هل الحاضر رمم صرامة التواتر) ص24
(أكرر .. هل ..؟- أخيط التآسي بالمباهج – هل ..)ص27
(من أوهم النسيم بمزن الجزيرة)ص31.

أن مفردة الشاعر جميلة بحق.ولو قطعنا قصيدة الى مقاطع كثيرة لوجدناها جملة شعرية أنيقة تحمل من الدلالة ما تعين القارئ على تشكيل قصيدته في اللحظة التي قرأ فيها المقطع.. لكنه سيفاجأ أن الشاعر لم يمهله وقتا لملمة الاجزاء بل جعله يفكر بعملية غزل الكلمات.

(كل ضحكة مسافاتها دمعة مقفلة) ص22
(اي السمك الصغير..هذا صغير الحروب)ص23
(سقت فحولته عند مجيء الطغاة – فتشابه علينا الحجر)ص20

أن القارئ بحاجة الى وقت لتكوين جسد آخر لقصيدة مبعثرة..وبالتالي فأنه سيصاب بعد الاعجاب بالمقاطع ، بلحظة تقوده الى التيه ومن ثم الامساك بقصدية الشاعر لأنه وجد اي القارئ نفسه في حلقة دوران للبحث عن التأويل

نستنتج أن بنية الكتابة لدى موجد هي بنية استدراكية..منفعلة بعد استهلالات متصارعة مع معاناته الخاصة أرادها أن تبز القارئ ليبقى في لحظة انتباه شديدة معتمدا على المفردة المكونة للجملة المتصادمة ولتي لا تستخدم إلا في الشعر ونتبين أن قدرته واضحة في تشكيل المشهد الشعري خاصة في المقاطع التي احتاج إلى تضمين لأنه يحاول إقناع القارئ بوجهة نظره الفلسفية.

تجربته في الشعر والخط والتشكيل الفني والهندسي لا تقف عند منعطف

مهدي محمد علي:
الشعر قنديلاً يضيء دروبي في عالم الصحافة

حوار: خالد السلطان
تقديم: جاسم العايف

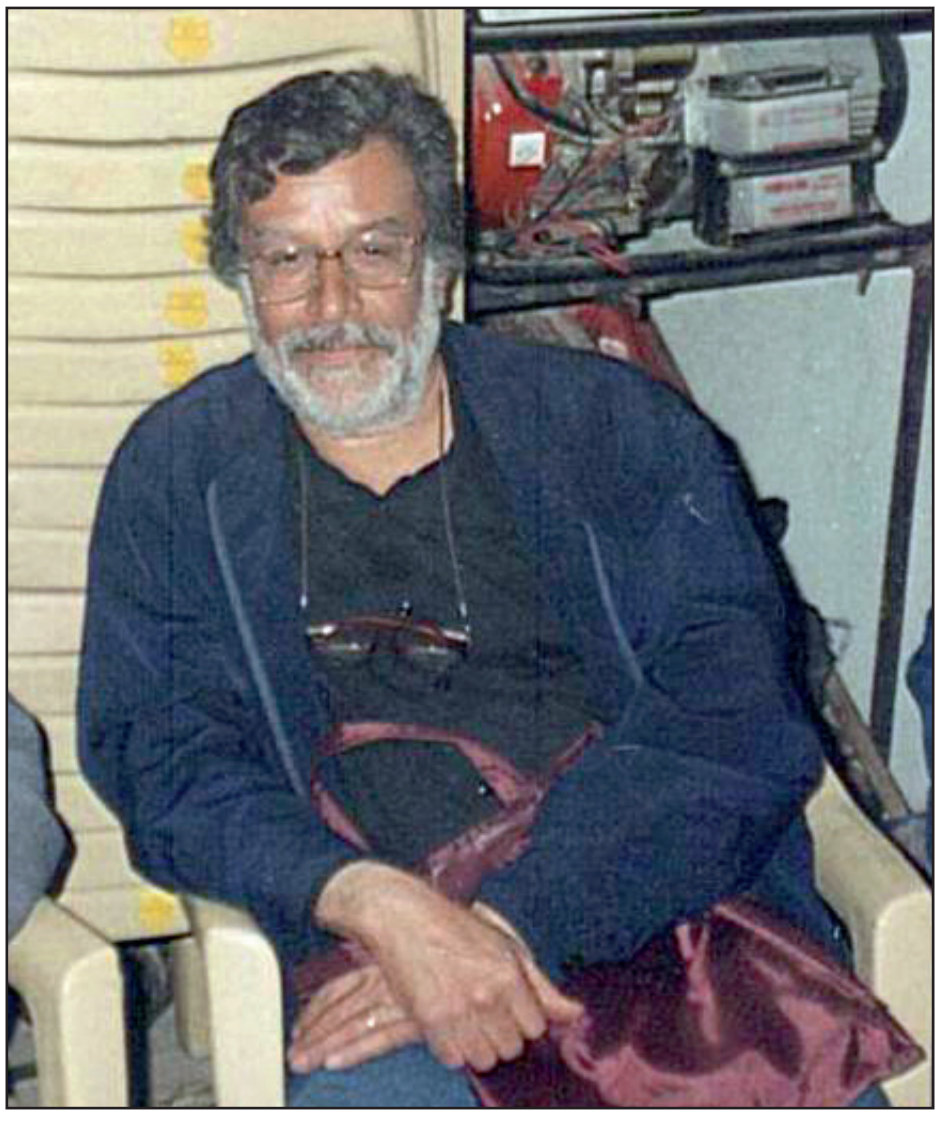

في منتصف عام ١٩٧٨ استوطن الشاعر(مهدي محمد علي)،المنافي، بعد هروبه برفقة الشاعر عبد الكريم كاصد ، من فظاظة النظام المنهار وتعسفه وحملته الدموية ضد القوى والشخصيات الوطنية التقدمية. وكانت رحلتهما عبر بادية العراق الجنوبية، قاسية ومحفوفة بمخاطر عدة ، و دامت ثمانية أيام، بدلالة بعض المهربين العراقيين، نحو الكويت ، ومنها بعد حوالي الشهرين، انتقلا إلى (عدن) بجوازات سفر يمانية. في عدن عمل (مهدي) محرراً في جريدة(الثوري) الناطقة باسم الحزب الاشتراكي اليمني أكثر من خمس سنوات. ثم انتقل من(عدن) وجاب منافيّ كثيرة، منها: دمشق ،وبيروت، وليبيا التي عمل فيها مدرساً للغة العربية كونه قد تخرج في كلية التربية / قسم اللغة العربية – جامعة بغداد ، وعمل في العراق مدرساً للغة العربية في البصرة وبابل ، وعاش فترة في هافانا وكذلك موسكو ووارسو.

أصدر (مهدي) خلال تلك الرحلة الطويلة في المنافي المتعددة المجموعات الشعرية التالية: رحيل عام 78/ وزارة الثقافة والإرشاد القومي / دمشق 1983 /، سر التفاحة/دار بابل/ دمشق 1987/، شمعة في قَاع النهر/ وزارة الثقافة السورية 1995/، خطى العين/ اتحاد الكتاب العرب/ دمشق 1995/ ، سماع منفرد/ دار المدى للثقافة والنشر/ دمشق 1996/، ضوء الجذور/ وزارة الثقافة السورية 2001/ ، قَطْرُ الشذى/ الهيئة العامة السورية للكتاب 2008 ، وكذلك كتابه:البصرة جنة البستان/دمشق- دار المدى للثقافة والنشر. وسبق لـ(مهدي) أن نشر قصائده في مجلات الأقلام والأديب العراقي والثقافة الجديدة ومجلة الكلمة ومجلة ألف باء وصحف الجمهورية وطريق الشعب والفكر الجديد ، وساهم في الكتاب الشعري" سلاماً... أيها الحزب" الذي صدر في الذكرى الأربعين لتأسيس " الحزب الشيوعي العراقي" عن دار الفارابي- بيروت عام 1974 ، وكانت قصيدته بعنوان" مع لوركا.. في الطريق إلى قرطبة". وساهم أيضاً في "الملحق الشعري"الذي أصدرته مجلة "الثقافة الجديدة" بصفته ملحقاً لعددها المرقم (83) في تموز عام 1976 ونشرت فيه قصيدته"مواقع". كتب عنه و قصائده الشاعر سعدي يوسف والناقد أنور الغساني والشاعر عبد الكريم كاصد والشاعر صادق الصائغ والشاعر مصطفى عبد الله والقاص والروائي فيصل عبد الحسن حاجم والكاتب جاسم العايف وبعض الكتاب والنقاد العرب. واختير خبيراً لسلسة كتاب في جريدة الذي تدعمه المنظمة العالمية للثقافة (اليونسكو) باللغة العربية، ويصدر شهرياً مع بعض الصحف العربية و العراقية. نشر(مهدي) مقالات سيسو- ثقافية في صحف عربية ، تصدر في بعض العواصم العربية والأوربية، كما عمل محررا للقسم الثقافي في مجلة (الثقافة الجديدة) التي كانت تصدر خارج العراق. والغريب، والمدهش حقاً، انه لم يدع إلى مهرجانات (المربد) التي أقيمت بعد سقوط النظام ، وكأنه لا ينتسب للشعر العراقي أو للبصرة بالذات؟!. رغم محن المنفى وعذاباته لكن(مهدي) بقي يعيش حياته في مدينته "البصرة" ، فكتب عنها كتابه (البصرة جنة البستانْ). وقد استغرق العمل فيه ثلاث سنوات، بدأ فيها من عام 1982 حين استشرف المستقبل، ورأى انه ربما قد لا يعود لمدينته ، وفعلاً تحقق ذلك، باستثناء زيارة خاطفة للبصرة منتصف عام 2005. خلال زيارته تلك إلى البصرة ، احتفى به عدد كثير من الأصدقاء ، وخصه اتحاد أدباء وكتاب البصرة بجلسة خاصة، قدمه فيها الناقد جميل الشبيبي. الزميل الباحث الأستاذ خالد السلطان أجرى معه هذا الحوار، وكانت مسألة (ثقافة الداخل والخارج) منتشرة ورائجة ومهيمنة على الوسط الثقافي - الأدبي بين المثقفين في العراق وخارجه حينها. (مهدي) في كل كتبه من شعر ونثر يعي جيدا ً انّه جزء من توجه شعري ، همه التحديق ملياً بالواقع وجدله وناسه (القابعين) في أسفل القاع الاجتماعي. ميزة هذا الحوار انه آخر حوار اجري مع(مهدي) و في(بصرته) بالذات. الزميل (السلطان) بقي محتفظاً به ، فالتمسته أن يسمحَ ليّ بنشره ، بعد كتابتي مقدمة له، فاستجاب مشكوراً .

*في ضوء قراءتنا لقصائد عدد من الشعراء العراقيين (المغتربين) ، لمسنا هيمنة مفردة (الحنين) بجميع أبعادها الإنسانية والعاطفية ، وعليه ما الجدل الممكن انجازه - طبقاً لتصوركم - بين وعي الغربة الشقي والتعالي عليها إبداعياً ..؟

- أنا - شخصياً - أرى ان جوهر الحنين للوطن هو الحنين للطفولة والصبا وما تأسس عليهما ، والوطن هو الأشياء والأحياء وما اكتنفهما من حوادث ومسارات .. الوطن هو البيوت وما فيها ، والدروب وما فيها .. هو الإنسان والحيوان والماء والشجر ، ولكن الإنسان هو العنصر الفعال في كل ذلك ، وهو في الوقت ذاته العنصر المنفعل بكل ذلك ، وعندي أن ثمّة فرقاً بين مكان الوطن وزمانه من جهة ، ومكان المنفى وزمانه من جهة ثانية ، وهو أن الأول منجز قد توقف ظاهرياً ، والثاني مفتوح يأتي بالمتوقع وغير المتوقع .. ويظل الوطن - رغم توقفه الظاهري - يتناسل في الروح ، ويستعاد مرات ومرات ، بسبب انفتاح المنفى ، وربما - أحياناً - بسبب انغلاقه وغموضه ، وفي كلا الحالين يظل الوطن يمور ويتناسل ، ولكن الأمر يختلف من مبدع إلى آخر ، فما ذكرته آنفاً ليس إلا الوصف التبسيطي المتاح. بالنسبة لي كانت البصرة - الذاكرة ، بضوئها وعتمتها كائنة في النصّ حتى وان لم يتضمن ذلك النص النخلة والبلم .. أو شط العرب وجداول البساتين .. حتى وان لم يتضمن لقلق المئذنة أو الغراب الذي يسرق (الصابونة) من أرض (الحوش) ويمضي بها إلى

السماء ..!. وبالنسبة لي ، مرة ثانية ، أقول : كان المنفى ما يرسخ الوطن - البصرة - البيت - الجدار - غرفتي - منضدتي - نافذة الشناشيل .. فكلما أوغلت في الغربة أوغلت في الوطن.

* الوضع العراقي الراهن ، كما تعلم ، وضع إشكالي وممشكل بالعديد من القضايا الشادة باتجاه إحباط المشروع الديمقراطي ، وتحويل الاحتلال إلى راع دائم .. الخ . ما دور المثقف العراقي (المهاجر) في هذه الإشكالية غير التقليدية..؟

- الوضع العراقي له ارث قديم في الالتباس .. لنقل منذ انطلاقة ثورة الرابع عشر من تموز 1958 ، مروراً بانقلاب 1963 البغيض ، ثم انقلاب 17 تموز 1968 ، ذلك الانقلاب الثعلب .. والحرب العراقية الإيرانية ، فاحتلال الكويت الذي تذرّعت به أمريكا - وهي صانعته - للإقامة في المنطقة ، إلى لحظة الاحتلال الراهنة وما رافقها ويرافقها وسيرافقها من احتدامات ملتبسة والتباسات محتدمة .. العراق محكوم بالمأزق الدائم ، ولن يحمل الصليب العراقي غير العراقيين ، ولن تخف وطأة هذا الصليب ، وبالمقابل فان إصرار الوطنيين الشرفاء لن يخفّ ولن يهبتِ ، من اجل بلوغ شاطئ عراقي اقل خطراً ، ولا أقول أكثر أمنا. هنا لا أرى مهمة المقيم في المهجر تختلف عن مهمة المقيم في الوطن إلا في حدود معينة ، ربما تكمن في كونه يمتلك القدرة على ان يكون سفير الوطن في المنفى ، أو رغم المنفى ، وهو بذلك يشكل عمقاً للوطن في المنفى ، وإيضاحاً للمنفى عما يحصل في الوطن .. أقول هذا ، ونحن نعلم بأن مئات الآلاف من المنفيين والمهجرين قد عادوا إلى الوطن ، وغيرهم في الطريق نحو الوطن ، ان هذا - في رأيي - ينتظم المثقف وغير المثقف.

* كرستم كتاباً خاصاً بمدينة البصرة ، ما صورة (البصيرة) اليوم في عيني الشاعر مهدي محمد علي ..؟

- يكاد كتابي (البصرة .. جنة البستان) المكتوب في الأمس البعيد ان يشكل جواباً مسبقاً عن بصرة اليوم ، فلقد عكفت على رسم مدينتي بالكلمات منذ بداية عام 1982 لأنني - وبعدما تأكد المنفى - أيقنت بأنني فقدت بصري .. بصرة الخمسينات من القرن العشرين الماضي ، وأنني لن أرى تلك البصرة أبداً ، لذا فإنني لم أفاجأ ، بل أصابني حزن عميق ووجع مبرح ، إذ رأيتُ مرابع طفولتي وصباي قد أصابها الخراب المتناسل على نحو لا يعقل ، فمحلات مثل السيمر وجسر الملح وأبو الحسن ، ويحيى زكريا والمجصة .. وسكة حميدي والجاخور .. الخ رأيتها بيوتاً آيلة للسقوط وشناشيلات قد بادت من الشموس والرياح والإمطار والإهمال المقصود ، فدروبها عبارة عن مستنقعات وركامات من الطين والطين الأسود ، وثمة مبانٍ عديدة لم يبق منها سوى شواخص تقول:(بالأمس كانوا هنا واليوم قد رحلوا..). فأين كل هذا من تسمية البصرة في العهد المقبور بـ (مدينة المدن) ؟!. ثمة تحولات في المعالم المهمة والشهيرة في المدينة : سوق الهنود (المغايز) لم يعد هو ، بل انقلب إلى حظيرة استهلاكية تضج بالبسطات ، فاختفت محلات الخياطين وباعة الأقمشة والصيدليات ومكتبة الجميع وباعة التوابل الهنود ..! وكذلك أصيب سوق الصيادلة بوابل من البسطات والمواد

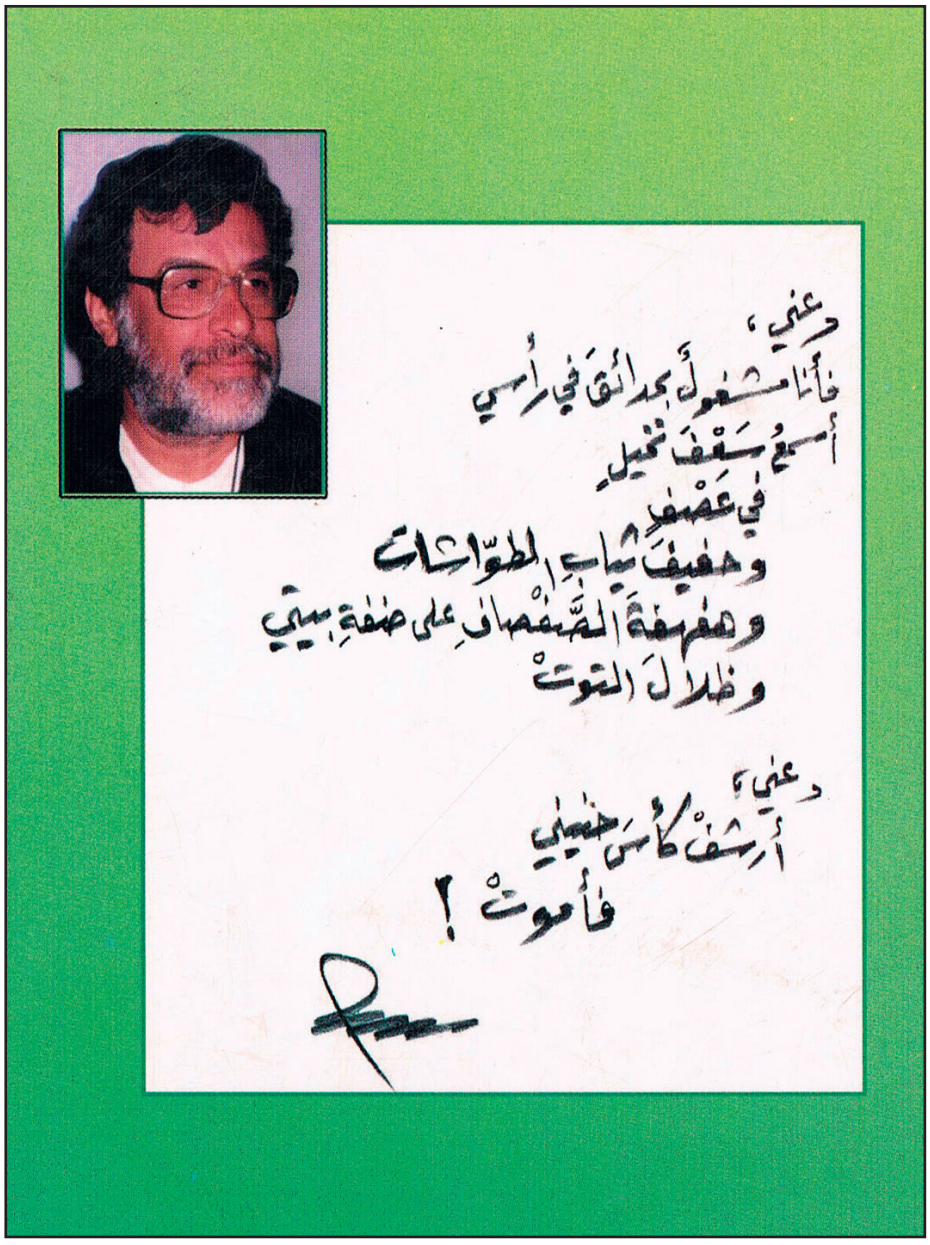

الاستهلاكية ، وكثرت فيه محلات الذهب ، ولا شئ سوى ذلك .. وثمة محل لبيع الآلات الموسيقية وتصليحها تحول إلى محل

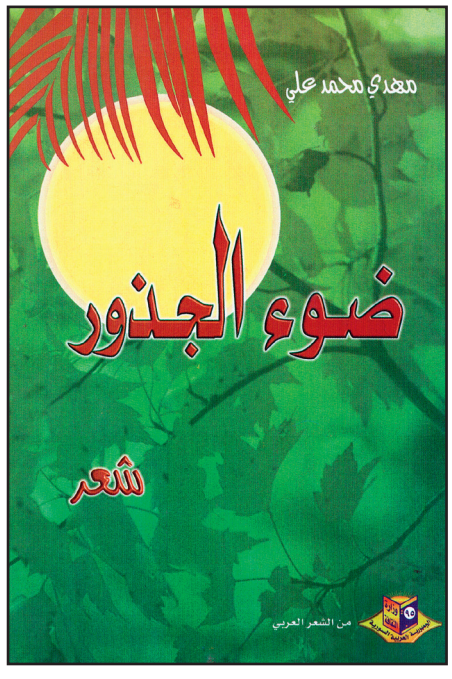

لبيع الأحذية ..!!. ومن جهة أخرى أقول : أين هو نخيل شط العرب ..؟!. أين غابة النخيل في قرية (كوت الحجاج) ..؟! ثم إلى متى سنظل نرى المباني الكبيرة خاوية على عروشها ..؟!. لقد كان سقوط النظام وقيام الاحتلال وفوضاه الدائمة أشبه بالفرحة - الغصة ، إذ لم يكد الناس يستنشقون فرحة الخلاص حتى اختنقوا بكابوس الاحتلال والإرهاب ..!. ربما لا يشعر المقيم الدائم كل هذه السنين في البصرة ، والمواكب للتحولات اليومية غير المحسوسة في حينها .. ربما لا يشعر بما أراه أنا المنقطع عنها أكثر من ربع قرن ، فهل ستبعث تلك الأماكن من جديد ..؟. هل سيفكر أهل الضمير والحس الحضاري ، ما ينبغي له من الخصوصية .. هل سيفكرون باستعادة مثل هذه المناطق كما كانت ، زاهية بطابوقها (خصوصية عراقية) وشناشيلاتها (ميزاتها النادرة) فيصير لنا مكان مثل العالم والناس..؟. ان مدينة (وارسو) عاصمة بولونيا أزيلت من أساساتها في الحرب العالمية الثانية ، فاستعيدت المدينة القديمة كما كانت بعمل استغرق ستة عشر عاماً.. وحولها امتدت المباني الحديثة المحيطة بها بطراز حديث ولكنه مقارب لنمط القديم .. أما الأبنية الأحدث فهي في المحيط الأبعد .. انني لا أطمح الآن إلى مثل هذا ، فهو طموح بمستوى الحلم شبه المستحيل ، ولكن التفكير به أصح وأصلح لنا من الانشغال عنه بحضارة (الماكدونالد) الأمريكية المتوقعة ، والتي قد تتزين بلباس مختلف ، فتذهب ريحنا ..!.

*ما الآليات التي تعتقد بضرورة إيجادها لتعشيق العلاقة العضوية بين المثقف العراقي في الداخل ، والمثقف العراقي في المهاجر ..؟.

- ان عبارة (انتخب العراق) هي خير شعار يمكن ان يرفع الآن نبراساً للجميع : انه يمكن ان يكون صالحاً إذا كنا متفقين على عراق يوحدنا ويلامس روح العدالة فينا ، ولكن إذا كان كل فريق يرسم عراقاً مختلفاً ، فان تلك ستكون داهية الدواهي . أما على صعيد المثقفين في داخل الوطن وفي المهاجر فان مهمة المثقفين مهمة خطيرة انطلاقاً من كونهم - وكما ينبغي - ضمير الوطن وروحه المبدع ، فكلتا الفئتين عانتا مرارة الطغيان بكل أصنافه .. صحيح ان عناء المنفى مختلف عن العناء داخل الوطن ، غير ان الوطن هو هاجس الفئتين ، وعليه فان وضع جرح الوطن ضماداً على جرح المنفى ، ووضع جرح المنفى ضماداً على جرح الوطن لابد ان يتولد عنه صورة للوطن المنشود .

*كيف وفق الأستاذ مهدي محمد علي بين اشتغالاته الإبداعية والعمل الصحفي ، ولحساب من تمت تلك (التسوية) ان جاز التعبير ..؟.

- فيما يخص سيرتي أو مسيرتي في مجال الإبداع والى جوارها نشاطاتي الصحفية .. أقول ان هاجسي الأول هو الشعر ، وكل ممارسة غيره هي على ضفاف الشعر ، إذ أنني لن أنغمس في الصحافة إلا بمنطلقات شعرية ، فليس هناك مسافة كبيرة أو محسوسة بين النشاطين ، فأنا لم اخش يوماً على شعري من الممارسة الصحفية ، بل إنها كانت رافداً للشعر ، في حين كان الشعر قنديلاً يضيء دروبي في عالم الصحافة ، فلم يكن طرفاً على حساب طرف بأي شكل من الأشكال.

قصة قصيرة

ابتسامة الوجوه المُتعبة

◆ نهار حسب الله

كانت الجدران قديمة.. أتعبها الزمن ووزع تشققاته عليها، لتبدو كأنها تجاعيد ارتسمتْ على وجه عجوز.. وأرضية مَكسوة بالاسفلت المُحفر.. ومكتب خشبي فقير وكرسيان الأول حديدي متحرك لكن تلفه جعله يبدو مشلولاً، عاجزاً عن الحركة، والثاني خشبي قديم مهمل..

بهذه الأجواء أمضى (ربيع ناصر) أيام عمره في الخدمة الوظيفية بدائرة التقاعد العامة.

شمعة الأيام تحترق بسرعة كعود كبريت، ولا تُخلف وراءها إلا ذكريات بنكهة الدخان.. فمنذ زمن بعيد، لم ينسى ربيع حروف أمه الأخيرة التي نطقت بها وهي تودعه وتودع الحياة كلها:

- أنا راحلة ياربيع.. لا تجعل وجهك عابساً في وجوه الناس، فهم يحتاجون إلى من يبتسم إليهم ويخفف عنهم.. تذكر ملامحي جيداً وأبتسمْ في أصعب اللحظات حتى أكون معك، أبتسمْ للألم حتى يهجع وأضحك للخوف حتى يرحل، ووظف طاقاتك كلها كأدوات لصناعة البسمة على وجوه الآخرين وتأكد بأني سأكون سعيدة بنضالك لأسعاد المحيطين بك .

ربما كان ربيع وفياً يكره النسيان.. وقد يكرهه حتى لو كان نعمة، لأن تلك الوصية ظلت عالقة في ذهنه على مرور الأيام.. وهو الأمر الذي غير سلوك حياته بالكامل، وصار همه وشاغله الوحيد رؤية البهجة والفرح على وجوه من حوله.

صحيح ان عمله في دائرة التقاعد العامة عمل جاد لا يحتمل الهزل، خصوصاً وانه يشتغل بقسم التدقيق في الدائرة، كونه مختص في دراسة القانون، إلا انه كان يتصرف على نحو مختلف، بعيداً عن الرتابة والحدية والتعامل الروتيني الجاف.

كان يحرص في أغلب الأحيان على كسب ود جميع المراجعين للدائرة بطريقة حميمية سلسة، ولم يكن يترك أحداً إلا بعد رؤيته راضياً مبتسماً.

على الرغم من تشديد مسؤوله المباشر على التعامل معه بحدود العمل وتحاشي الدخول في اي نقاش مع اي مراجع وعدم ترك المجال للشكوى والثرثرة وطرح الاسئلة التي لا إجابة عنها، إلا ان ربيع خالف الأوامر منذ لحظة استقباله المراجع الأول، عندما دخل اليه رجل ستيني مبتور الساق يستند على عكاز خشبي، كان العرق ينضح من مسامات جسده كلها لدرجة إنه كان يعاني من أداء النطق من شدة الارهاق..

لمحه ربيع بطارف عينه ونهض من مكتبه مستعجلاً استقباله مصافحاً، ليتنبه لذراعه المزرقة بسبب اسنادها بالعكاز لوقت طويل.. حاول إسناده للجلوس على الكرسي الخشبي بعد ان عمل على تنظيفه بسرعة.

بادر الرجل الستيني بالسؤال:

- من فضلك.. هل مازالت معاملات المعوقين قيد التدقيق؟

ظل (ربيع) باهت الوجه لانه لا يمتلك أية معلومة عن معاملات المعوقين المحالين إلى التقاعد.. إلا انه تدارك الأمر قائلاً:

- اسمح لي بدعوتك على قدح ماء مثلج لتروي عطشك وتسترد انفاسك وتستريح، ومن ثم نعالج موضوع المعاملة المتأخرة..

ابتسم الرجل ابتسامة حركت تجاعيد وجهه المتكسر محاولاً التعبير عن الشكر والامتنان، والاستغراب في الوقت ذاته من تعامل الموظف.

نهض ربيع من كرسيه لجلب قدح الماء، إلا انه غير مساره وقرر الدخول إلى المدير وسأله عن معاملة الرجل.. غير انه استغرب إجابة المدير:

- معاملات المعاقين كلها موجودة في المخزن.. لان شعبة التدقيق أجلت تدقيقها إلى العام المقبل بسبب تراكم معاملات العسكريين المحالين إلى التقاعد!.

رد ربيع بتلقائية:

- عذراً سيادة المدير.. انا على استعداد لانجاز المعاملات كلها..

- حسناً.. بامكانك التفتيش عنها غداً صباحاً في المخزن..

غادر ربيع غرفة مديره عائداً لضيفه وهو يحمل الشعور بالانتصار لانه حقق رغبته في معالجة مشكلة المُراجع الأول.. وقدم له قدح الماء مع نظرة سارة وهي إمكانية حل أزمة معاملته المتأخرة..

- ما عليك إلا شرب الماء والاسترخاء، مشكلتك ليست مستعصية الحل.. غداً صباحاً سينتهي التدقيق، وتتسلم مستحقاتك المادية كلها قبل نهاية هذا الشهر.. برجاء زيارة مكتبي بعد الساعة العاشرة من صباح الغد لتتسلم المعاملة بعد تدقيقها.

ابتهج العجوز، وصافحه بحرارة وخرج من الغرفة وهو يتمتم بأدعية وكلمات الامتنان حتى تلاشى عن الانظار، وكأنه انصهر مع حشود المراجعين.

تجاعيد وجه الرجل الستيني وإبتسامته وعيونه الدامعة وأدعيته لم تغب عن مخيلة ربيع، وإنما ظل يفكر فيما إذا يتمكن مستقبلاً من رسم الابتسامات على وجوه جديدة قد تصادف عمله..

ووجد انه من الممكن ان يمنح كل مراجع القليل من الوقت للافصاح عن قصة عمره الحزينة، ومن خلالها سيتمكن من التفاعل مع الحكاية من الناحية الانسانية، ومن ثم العمل على حل المشكلة قدر المستطاع، وبهذا يؤهل المراجع للابتسامة والتفاؤل.

لكن حل أزمات المعاقين المحالين إلى التقاعد لم تكن بسيطة كما كان يتصور، لأن معاملاتهم كانت مكدسة في مخزن الدائرة على نحو عشوائي يأكلها التلف... إلا انه كان مصراً على ترتيب ونقل المعاملات كلها إلى مكتبه المتواضع بوصفها ستحقق آمال عدد كبير من الناس..

حجم المعاملات استغل نصف مساحة غرفة ربيع، حتى صار من الصعب دخول أكثر من شخص واحد إليها..

بدأ بتنظيم وتدقيق الملفات المتأخرة، يقلب ويتفحص الأوراق بتمعن واهتمام كبيرين ويدون ملاحظاته عليها، كان يتعامل معها الى انها أشلاء، وأطراف مفقودة، وتشوهات وإعاقات، غيرت مسار حياة اناس لم يكونوا ذات يوم جزء من قرارات الحروب، غير انهم أرغموا على ان يكونوا جزءً من ذاكرتها المدمرة.

بدأ المتضررون يصطفون طوابير طويلة متزاحمة أمام باب غرفته، وكأنه باب الجنة.

وعلى الرغم من انشغاله التام بانجاز عمله على نحو دقيق، إلا ان آذانه كانت ترصد وتسجل ثرثرة المراجعين وفوضى ضجيجهم الذي عم الدائرة.

كان كل واحد منهم يروي قصته بشجن غريب لمن حوله، وبين تلك الاصوات المتعبة التي وصل أصحابها إلى خريف العمر، رصد ربيع صوتاً أنثوياً شاباً، أرغمه على التوقف عن العمل ورفع رأسه لتفقد مصدر الصوت، ليجد شابة عشرينية حسنة الشكل ذات عينين سوداوين لامعتين متلألئين بالدموع، كانت تسأل عن شعبة التدقيق.

ومن دون أي مقدمات.. ناداها.. متسائلاً عن

إمكانية خدمتها؟

- يا آنسة.. هذا الطابور مخصص للمعاقين المحالين إلى التقاعد.. كيف أتمكن من خدمتك؟

- أنا هنا لهذا الغرض.. منذ ستة أشهر وأنا اراجع هذه الدائرة على نحو اسبوعي لإنجاز معاملة والدي الذي فقد أطرافه جراء أعمال العنف حتى صار شكله لا يختلف كثيراً عن أية دمية صغيرة عبث بها طفل لا يجيد اللعب مع الدمى، وهو الآن عاجز عن القيام بأي شيء في الحياة، لقد تحول في ليلة وضحاها من أبي الى ابني.. من فضلك أين وصل تدقيق المعاملة.. نحن لا نستحق هذا الاذلال كله، نحن بأمس الحاجة الى الراتب التقاعدي لاننا لا نمتلك اي سبيل للعيش.

- آسف بشأن ما حصل لوالدك.. أعدك باتمام اللازم في أقرب وقت، ما عليك سوى كتابة اسمه الكامل، ومراجعة الدائرة بعد يومين من الآن، وستكون المعاملة جاهزة..

لم يكن كلام ربيع مؤثراً، إلا ان دموع الشابة العشرينية انهمرت بقوة الامطار الاستوائية التي يصعب السيطرة عليها.. وكتبت الاسم على عجل، وغادرت المكان دونما النطق بكلمة واحدة، تتبعها نظرات ربيع وتعاطف الحاضرين.

زحمة المراجعين لم تمنح ربيع الوقت الكافي للتأمل في مأساة الفتاة، إلا ان طيفها ظل يرافقه ويدور في ذهنه، لدرجة إنه بقي بعد انتهاء الدوام الرسمي للبحث عن معاملة والدها الذي صار دمية جامدة لولا انفاسه.

وبعد عناء البحث الشاق وجد الملف وعمل على تدقيقه بعناية، واهتم بالموضوع وكانه مسألة شخصية.. لم يتذوق طعم الراحة حتى صباح اليوم التالي، بعدما دخل للمدير وطلب منه التوقيع على الملفات التي انجز تدقيقها..

وبدأ يوزع المعاملات المتبقية من دون اي تأخير او تكاسل.. وهو يتطلع بفرح غامر الى وجوه الناس وهي تخرج من غرفته تحمل طابع البهجة..

بقي ينتظر مراجعة الشابة العشرينية لتسليمها معاملتها بعد ان صارت جاهزة، حتى ساعات الدوام الأخيرة، وظل يتطلع لقدومها، وينتظر يوماً بعد آخر غير انها لم تأت إلا بعد ثلاثة أسابيع..

استقبلها بابتسامة عريضة، كونه أنجز وعده تجاهها وانجز اللازم.. التقاها وقد شحبت ملامحها وغابت تعابير الدنيا عن وجهها، تقدمت إليه بخطى ثقيلة ورداء اسود مطالبة إياه بالغاء المعاملة لان والدها قد رحل الى السماء.

بعد ان تلقى ربيع صدمة موت الرجل المعاق واحترق بدموع الشابة العشرينية.. أدمى أصبع الندم، وكأنه كان سبباً في موت والدها..

تدهورت حالته النفسية، وبدأت أحاسيس اليأس والاحباط والكآبة تسكن روحه لتحيله الى شخص آخر.. شخص مختلف تماماً، وهو الامر الذي ساهم بتغيير ملامح وجهه المبتهج حتى صار لا يجيد وضع الابتسامة على وجهه، وان كانت لغرض مجاملة من حوله.. مما جعله يعيش حالات من القلق والتوتر والتشاؤم، ليرغم بعد ذلك على تقديم طلب إجازة قصيرة لاستعادة وضعه الطبيعي.

قرر الانزواء في بيته والابتعاد عن عالمه الاجتماعي المشبع بالمفارقات التعيسة.. وبقي مشدود البال، مشتت الفكر لعدة أيام إلى ان راجع وصية أمه التي أعادته إلى الحياة مرة أخرى..

وهو الأمر الذي دعاه للعودة الى وظيفته مستغنياً عن بقية أيام الاجازة ، وعاد يحمل مسؤولية إسعاد المُتعبين من حوله على الرغم من شعوره بالتعاسة.. وبدأ يتفانى من أجل حل العقد المتراكمة في دواخل مراجعيه وكانه طبيب نفسي يعي كل مفاصل عمله.

لم يكن ربيع يتثاقل من شكاوى وهموم مراجعيه، على الرغم من مزاج بعضهم الممتاز بطابع السلبية والعجرفة أحياناً.

كان يُقدر مأساة كل واحد منهم ويعمل على التعاطف مع مشكلاتهم وهو الأمر الذي جعله محبوباً دون غيره من الموظفين لدرجة ان مراجعيه كانوا يسألون عنه بالاسم ويفتشون عن شخصه من دون زملائه.

لم يكن ربيع موظفاً تقليدياً ينهي ساعات عمله ويغلق أبواب تفكيره حتى صباح يوم وظيفي جديد، وإنما كان دائم الانشغال بالملفات التي تملأ مكتبه، كان يفكر في امكانية انجاز تدقيقها في أقرب وقت..

استعجلته الأيام حتى بات على شرفة التقاعد الوظيفي لبلوغه السن القانوني، كانت التجاعيد قد رسمتْ على وجهه وأثقلت ملامحه، غير انه كان مصراً على الحفاظ على ابتسامته بوجه مراجعيه المعاقين الذين تتجدد قصصهم بسيناريوهات مختلفة، وحكايات يصعب أرشفتها لانها تشكل حدث الماضي والحاضر المحمل بالعنف والتشوهات والاعاقات..

بقيت حياته الوظيفية ثابة على النهج ذاته.. لكنه اكتشف بعد إحالته الى التقاعد انه وبعد تجربته الحياتية الطويلة، انه لم يجد ما يدعو للابتسامة والتفاؤل في هذا العالم، وان كل ابتساماته في وجوه المعاقين ما هي إلا تخفيف مؤقت عن معاناته الازلية، ومحاولات غير مجدية لتحريك تجاعيد الوجوه المجعدة..

نساء في غابة

◆ نبيل نعمة الجابري

1
أقتربُ
لتمعني بالتفاصيل أكثر
أقرأي الاشياء بالاخضر الغامق
سترينَ من نافذة صدري
أشجاراً مأهولةً
وغابةْ
2
مثلُ طفلٍ
يكتشف الأشياء للتو،
ذراعي أفردها للسماء
كلّما سقطَ الحبُّ
صار العالمُ حديقة العاشق..
3
للريحِ أطلقتها
من دون خيط لتحلق طائرة قلبي الورقية
أحبكِ المحشورة في صدري،
أطلقتها فكانتِ العاصفة
4
أحبكِ بطريقة
لا تبرد
لا تخبو
لا يمكن لها أن تأفل كما كل ما يحيط بنا
الليل والنهار، الشمس والقمر
حتى العمرِ
أحبك دائمة الخضرة
5
على سعفات النخيلِ
أنا الاغنية المضاءة بالنداوة
سلالات الطين تعرفني
والنسوة اللائي نثرن خلاصاتهن بدمي
يتسعن بي ..
رغبة,
وخضرة
6
لأجل وردة
أتلفُ العشراتِ من زجاجات العطر الباريسية ..
لاجل قصيدة ..
مقطع في قصيدة
يتعلق بالوردة التي تشبهك
أتركُ حقلاً..
7
خصلتان من شعرك
على قليل من نكهة جلدكِ
قارورة صغيرة من ماء الحياة
مع مشيئة الشعرِ
وتبعثين في مغامرة الخلود
ورحلة العشب الطويلة
خصلتان من شعرك
حقلان
دربان
يتنافسان
خضرة وماء
8
وحتى
يعرشَ
لبلابُ
قصتنا
أحتاج لابتسامتك التي تشبه الغابة ..

فلامنكو

◆ غريب اسكندر

الراقصةُ التي رقصت
رقصةَ القتيل
في أشعار لوركا
ارتدت وشاحاً
أحمر
كليل الحانة
لم تكن تعرف
أن الأحمر الذي يذكرها
بلون الوردة
يذكرني بلون الدم.

ناتو

هذا المكان نمنحه لمن يريد..
لفكرة مجنونة آن
لها ان تنفجر..
لاحتجاج فني اوصرخة لون..
لا ظل هنا للممنوع
والمحذور ولا عين تراقب.
انها الحرية..
الحرية كاملة

تاتو

Rachel Deacon

TABL

..هبة اللّه .. السدّة

◆ شكر حاجم الصالحي

السدة مسقط رأسي
وبداية أسفاري نحو المجهول
قابلتي المأذونة
مرضعتي
تنهيدة أمي
والحلم الأبدي المأمول
لا خوف عليها من كل صروف الدهر
مهما احتربت وتمادت
أهوال وفصول
السدة هبة الله
بياض الوجه
ورفيف القلب المعلول
مشتل ذاكرتي
صخب الاتراب حماقاتي
وشبابي
ومذاقات الأعجاب ببنت الجيران
ولذائذ قبلتها

وجنون مشاعرها
وسطور رسائلها
وغوايات الكلم المعسول
السدة تنورَ مسجور
في بيت معمور
وموائد من سمكٍ
ومراحب
وزوارق صيدٍ تتلوى
ونشيج قوارب
صندوق أغانٍ صادحة
ومقاماتٍ
ومواهب
السدةٌ ليل سهارى وهلاهل
وظلال نخيل وبساتين وحقول
تنهض عند بروغ الفجر
ـــ يا الله يا فتاح يا رزاقُ ـــ
تبحث عن لقمتها
وتؤوب الى مخدعها
بوفير الرزق
بعد جفاف وهطول
وصعود ونزول
السدة سدُ خرفَ
بوابات ثكلى
ووشيل الماء خجول
بعد عقود مازالت
بنت العشرين معافاة
وعلى الضفتين
طيات ضفيرتها تتمرى
وجمال انوثتها يتهادى
بغرورٍ وذهول
السدة يا عيني عليها
ملهمتي الأولى
مازالت تنبض في روحي ... وتصول
السدة امنيتي القصوى
وملاذي في آخر ايامي
وختامي
فسلامي اليها
مهما عظم الخطب
وتبدّى ما عون الصبر
ونأى الدربُ
ســـــلامي ....
ســـــلامي ....
ســـــلامي .....

تاسوعاؤنا

◆ علي لفته سعيد

1-

مزْدحمٌ بالأنينِ
صريرُ السّرفاتِ يزاحمُ الرّايات
هتافاتُنا الضيّقة
مثْل رجلٍ غريبٍ
يدسّ أنْفهُ في الدّروب
لا فرَح يطْرقَ البابَ
سوى ما يهتفُ بهِ الخوف
أنّ الرّبيعَ لن يكون
مسكوا تاسعهُ من ياقتهِ
ونحروا كلّ شياهٍ أكلت من بيادر فرْعون

بائسون
نصفّقُ للخدعة
وحين تكاثرَ السّوادُ تركْنا الجّباهَ للتعاويذِ
واللّحى لردّاتٍ بلا حروف
هذه اللّاجدْوى
مسكتْ قميصَ البلادِ من أرْدانهِ
وكان الطّولُ على المَقاس
فرمّموا منابرهم بالصّراخ
حتى بانَت عوْرة المُدن
ونَما الخَرابُ
في تضاريسها

مزْدحمٌ بالمَساء
ثوْبهُ الفضْفاضُ بلاحلُمٍ
يقصّ أرْدانَ النّهارِ
ويحلّقَ شعْرَ الأمْنيات
اللّحظاتُ تزيحُ الخيْطَ الأبْيضَ
ليؤذّنَ أن الحزْنَ باقٍ
يغنّي مواويلهُ
ويجاري آهةً مكثتْ عمْرًا من الموْت
لا تذوبُ في عيْنِ الضوْء
تركتْها التهاويمُ تُصارعُ الخديعةَ
فينْبتُ القذى نهارًا بلا ضوْء
ويكْتبُ تاسعَهُ
على صفْرةِ نيسان الخَريف

2-

أحْتاجُ وطنًا
لا يهْديني كلّ عقْدِ سنين
عيدًا وطنيًا
ونشيدًا
لا يحْفظهُ الأطْفال

أحْتاجُ وطنًا
لا يضعَني في حقيبةٍ
ويكْتبُ
فكّر كيف تُغادرني

أحْتاج وطنًا
لا يغيّرُ أسْماء الشّهداء بالتقاويمِ
ولا يمْنحُ السّجناءَ رتبًا عسْكريّة
ولا يؤذّن في الوزراءِ رجل دين

أحْتاج وطنًا
لا يبْكيني تأريخهُ
لا يوقّفني شرْطيٌّ ليعْرف هويّتي
ولا يقول لي في في نقْطةِ تفْتيشٍ
إلى أيْنَ أنْتَ ذاهبٌ
أحتاجُ لا يُناقشُ
حلالُ الله وحرامهُ في دوائرِهِ الحُكومية
وتلوّن كلّ يومٍ جدْرانهُ بالسّواد

راء المطر

◆ شعر: أديب كمال الدين

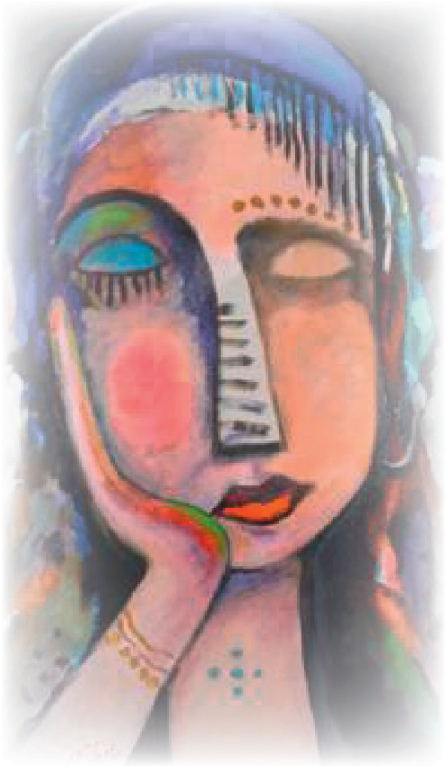

1.
حتّى قطرات المطر،
وهي تهبطُ على الأرضِ سلاماً وَمَحبّة،
صارتْ تُبكيني.
2.
ما اسمهُ المطر؟
3.
ما اسمهُ المطر؟
لأوّلِ مَرّة سألتُ نَفْسي.
وحينَ لم تجبْ،
سألتُ الغيمةَ الواقفةَ بلا مبالاةٍ فوقَ رأسي:
ما اسمهُ المطر؟
4.
لم تجب الغيمةُ أيضاً.
بقيتْ مستمتعةً بلا مُبالاتها.
غيرَ أنّها رشقتْني رشقات قويّة مِن المطر
بللتْ ذاكرتي وروحي وثيابي.
5.
صحتُ: ما اسمهُ المطر؟
قالت الغيمةُ فجأةً: أيّ مطر؟
قلتُ لها: مطر بغداد،
مطر الفرات،
مطر الحرمان،
مطر السفارة الثلجيّة،
مطر السجن،
مطر البلد البعيد.
6.
رشقتني الغيمةُ مجدداً
بالمزيد من المطر
وبالمزيد من الضياع.
المزيد مَن المطر
على رأسي الذي شيّبتهُ الحروب،
والمزيد من المطر
على قلبيَ الذي أحاطتْ
به الحروفُ مِن كلّ جانب.
7.
مطرُ بغداد،
قالت الغيمة،
اسمهُ: اللعنة.
8.
مطرُ الفرات،
قالت الغيمة،
اسمهُ: الدمعة.
9.
مطرُ الحرمان،
ولم يزل الكلامُ للغيمة،
اسمهُ: المرأة.
10.
مطرُ السفارة الثلجيّة
اسمهُ: الخيبةَ.
11.
مطرُ السجن
اسمهُ: الطعنة.
12.
مطرُ البلد البعيد
اسمهُ: الضَحكُ الأسْوَد.
13.
هكذا قالت الغيمة.
14.
إذنْ، شكراً بغداد.
وصلتْ لعنتُك
وترجمتُها إلى سبعين لغة ملعونة!
15.
شكراً للفرات.
وصلتْ دمعتُك
فحاولَ أنْ يسرقها منّي الشاعرُ الدعيّ
والشاعرُ المرائي والشاعرُ الكذّاب.
وحينَ رفعتُ يديَّ إلى السماء
عادتْ إليَّ دمعتي
بعشراتِ القصائد الباكية.
16.
شكراً للحرمان.
وصلتْ نقطةُ حرفِك
امرأةً طلسمتْ كلَّ جمالِ الأرض
وكلِّ عذابه
وكلِّ أمطاره.
17.
شكراً للسفارة الثلجيّة.
لكنّي لم أجدْ ترجمةً مُناسبة
لكلمة: "الخيبة" في كتابِ الأمطار.
18.
شكراً للسجن.
وصلتْ طعنتُكَ فأحرقتْ
ما تبقّى مِن كبدي.
19.
شكراً للبلد البعيد.
وصلتْ ضَحكتُكَ السوداء
أبجديّةً لا تنتهي من الدموع،
أبجديّةً لا تنتهي من المطر.

أستراليا 2014

رثاء أم

◆ سمير شاكر محمود الصميدعي

في رثاء الوالدة مفيدة صالح لطيف السلطاني
١٩٢٩ - ٢٠١٢

غيـــابُـــكِ جُرحٌ لا يُضَمَّدُ غــائرُ
وحُبُّكِ كالأنفاس خافٍ وحاضِرُ

وذِكرُكِ نَشرُ الياسَمينِ مع الندى
يخالِطُهُ حُزنٌ وصبرٌ مُكابِرُ

فأنتِ وإنْ غادرتِـنـــا لم تُغادري
ولمْ تَخْلُ من شوقٍ إليكِ الخواطرُ

***

حَييتِ تُغيثينَ اللهيفَ بخِفْيَـــةٍ
ومُـتِّ وما قدّمتِ للعينِ ظاهرُ

مربّـيـــةَ الأجيالِ يَعرِفُ فَضْلَها
بنوها وهم جيشٌ من الناسِ مائرُ

تعهَّدتِ فينا الخيرَ والحبَّ والنقا
فأصبحَ صنوينِ اسمُنا والمـــفاخرُ

وعلَّمتِنا أنْ نجعلَ الصدقَ مَنهجاً
ونُظهِرَ ما تـُطوى عليهِ الضمائرُ

ونُقدِمَ إن كان السباقُ لنجدةٍ
ونُحجِمَ إن يطغى عليه التهاترُ

وحصَّنتنا بالخُلقِ أنتِ ووالِدٌ
رؤوفٌ شديدٌ في الصِعابِ مثابِرُ التهاترُ

زرعْتِ بنا بذرَ الحنانِ وقد نما
به تكتسي دفئاً وتقوى الأواصرُ

وكنتِ كما سُمّيتِ خيرَ "مفيدَة"
وزوجُكِ محمودُ الأَرومةِ "شاكِرُ"

تقلَّبْتِ بين اليُسرِ والعُسرِ ، دائماً
ذكاؤكِ وقّادٌ وقلبُكِ عامِرُ

ولم تحتجبْ في العُسرِ عنكِ ابتسامةٌ
وفي اليُسرِ لم ينفذْ إليكِ التكابُرُ

وكنتِ لحزنِ الغيرِ دمعُكِ ساجِمٌ وانتصرت برقَّة
وكنتِ لمآ آذاكِ دمعُكِ نادرُ

غَلبْتِ بِلِينٍ وانتصرتِ برقَّةٍ
وفُزتِ بلُطفٍ لم يشُبْهُ التظاهُرُ

***

رماها وإيانا أواخرَ عُمرِها
عذابٌ يُلظّيها وداءٌ يُساوِرُ

ذوى عودُها من بعدِ أن كان مُخضلاً مـــُحنَّـطـــةً
وقاسَتْ ، وكم تقَسو علينا المصائرُ

كأنَّ سنا الأنوارِ في روحِها خبا
يواريه رمْلٌ عن رُبى الموتِ صادرُ

حَفظنا لها ذِكراً كما كانَ حالُها
تَدينُ لها الأخدانُ والسَعدُ وافرُ

ولستُ بأوفى إخوتي بَيدَ أنَّني
لأشجانِهِمْ صَوتٌ وعنهُم أُبادِرُ

***

أرى الموتَ وِرداً لا محالةَ كلُّ مَن
تنفَّسَ يُسقى ماءَه وهو صاغرُ

ولكنَّ شرَّ الموتِ ما جاءَ مُبطئاً
رُوَيداً رُويداً يغتذي وهوَ سائرُ

ويقضُمُ منْ يلقى فيُنقِصُ صيدَهُ
حياةً ووُجدانُ الضحيَّةِ شاعرُ

وأرحمُ ما يأتي إذا جاء بغتةً
وأهونُ حالٍ منه إن قيل "غادرُ"

***

وَداعاً وما قلبي لفَقدِكِ صابرُ
وشُكراً وفيكِ الشكرُ عَيٌّ وقاصِرُ

هي الأمُّ نبعُ الحبِّ يَروي حياتَنا
ويَروى به أولادُنا إذ نُغادِرُ

١٠ حقائق مثيرة للدهشة حول رواية

جون شتاينبك " عناقيد الغضب "

ترجمة : أحمد فاضل

كتابة: مارتن شيلتون المحرر الأدبي للتلغراف على الإنترنت

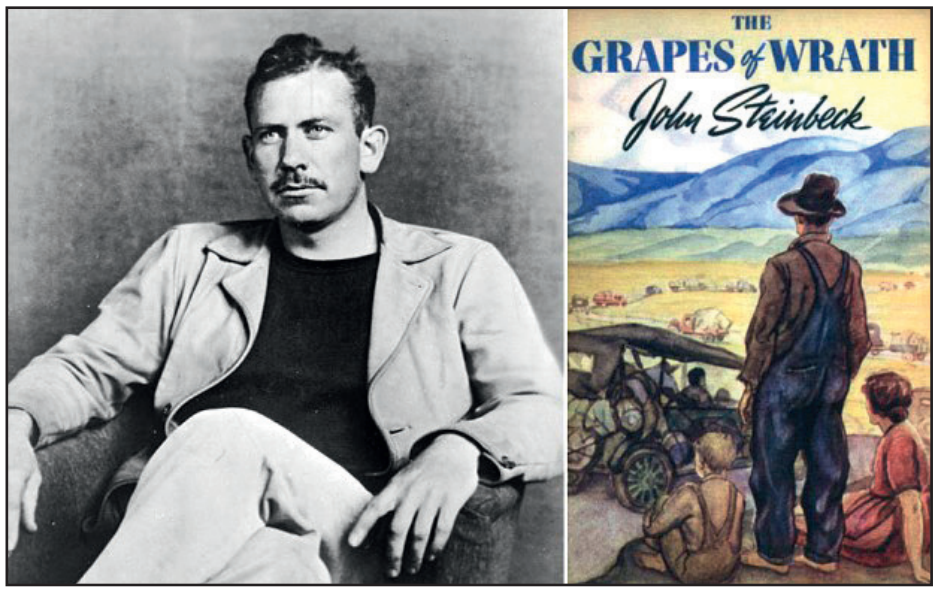

ممتلكات الدول المستقلة التالية : بولندا ، بلجيكا ، فرنسا ، بريطانيا العظمى ، أيرلندا .

٧٥ عاما مرت على ظهور رواية الكاتب الأمريكي جون شتاينبك " عناقيد الغضب " والتي حاز بسببها جائزة نوبل للأدب عام ١٩٦٢ ، الرواية كان شتاينبك قد أصدرها في الرابع عشر من نيسان ١٩٣٩ وقد بيعت منها لحد الآن ١٤ مليون نسخة ، هنا عشر حقائق مثيرة للدهشة قد تكون غابت عن القارئ بسبب محدودية نشرها :

طريق خلدته الرواية .

الطريف في الأمر أن الرواية كانت قد خلدت الطريق رقم 66 ذي المسارين حيث يمتد إلى مسافة 448 ميلا ليربط شيكاغو بلوس أنجلوس والذي أسماه شتاينبك " الطريق الأم " حيث تحول إلى رمز ثقافي استخدمته العائلة التي دارت حولها الرواية في هجرتها حالها حال الآلاف من المهاجرين الفارين من الأزمة الإقتصادية التي ضربت أمريكا في ثلاثينيات القرن الماضي .

رواية محظورة ومئات النسخ منها أحرقت .

المزارعون العاملون في كاليفورنيا رفضوا الرواية حيث قالوا عنها أنها حزمة أكاذيب ودعاية شيوعية أساءت لهم ، لكن الشيئ الغريب في الأمر أن السلطات الروسية وقتها رفضت هذا الكلام وتم حضرها لفترة وجيزة هناك بينما وضع مكتب التحقيقات الفيدرالي مؤلفها تحت المراقبة تلقى بعدها تهديدات بالقتل وحظرت نسخها في العديد من المكتبات الأمريكية بينما تم إحراق نسخا رمزية منها في عدة ولايات أمريكية ، البنك الدولي الأمريكي من جانبه أصدر بيانا غاضبا عن الرواية آنذاك حمل مؤلفها شتاينبك مسؤولية التحريض على البنوك وتشويه سمعتها ، أما الحريق الذي نشب في أحد محالج القطن في ولاية كاليفورنيا وهو من أنجح المعامل فيها ، فقد عمد عماله إلى حرقه بسبب قولهم أنهم هوجموا من قبل كاتب الرواية التي تضمنت كلمات اتسمت بالفاحشة لم تتخذ حيالها إدارة المحلج أي قرار ضده .

جمعة الرواية .

نشرت الرواية يوم الجمعة 14أبريل / نيسان 1939 في نفس اليوم الذي تم فيه عرض فيلم " مرتفعات وذرنج " في عرضه الأول في نيويورك ، وصادف أيضا كتابة رسالة من الرئيس روزفلت إلى هتلر قال فيها :

- هل أنت على استعداد لإعطاء ضمانات بأن قواتكم المسلحة لن تهاجم أو تغزو أراضي أو

أعصاب شتاينبك المشدودة حين كتابة الرواية .

" عناقيد الغضب " استغرق كتابتها خمسة اشهر ، في مذكراته الخاصة يطلعنا شتاينبك كم كان يفقد السيطرة على نفسه أثناء كتابته لها وعند وفاة شقيقه ترك كتابتها فترة من الزمن عاد إليها مسارعا الوقت لإنجازها مخافة احتمالات قيام الحرب ما جعله يبيع منزله في كاليفورنيا للإنتقال إلى مكان آخر طلبا للأمان ، قال في مذكراته :

- في ظل هذه الإثارة كثيرا ما كنت أشكو من أن جهازي العصبي بات يسير نحو الأسوأ وآمل أن لا يتجه نحو الإنهيار التام ، أتمنى أن تختفي ولو لفترة من الوقت تلك التوترات لدي لأنني بت اخشى بسبب هذه الرواية أن أتحول إلى أشلاء .

عند الإنتهاء من كتابة الرواية كتب شتاينبك يقول :

- ليس هذا هو الكتاب العظيم الذي تخيلته ، سيكون مجرد كتاب عادي ويتعين علي الإستعداد لكتابة رواية تكون بالأهمية التي أحلم بها .

الرواية فازت بعدئذ بداية عام 1940 بجائزة البوليتزر ثم بجائزة نوبل للأدب عام 1962 .

شتاينبك فخورا بأماكن الرواية .

أثناء كتابته للرواية زار شتاينبك معسكر ارفين الإتحادي الذي أقامته إدارة أمن المزارع جنوب بيكرسفيلد بولاية كاليفورنيا لإيواء العمال المهاجرين خلال فترة الكساد الإقتصادي الكبير وليكون قريبا منه وهو يتناول أحداثه فيها ، بقي هذا المعسكر قائما حتى تسعينيات القرن الماضي حيث وضعت بعدئذ العديد من بناياته تحت إشراف السجل الوطني للأماكن التاريخية وليزوره المئات من أحفاد أولئك العمال ومحبي شتاينبك .

الطبعة الأولى للرواية بالأرقام .

صدرت الطبعة الأولى عن دار نشر فايكنغ برس ب 619 صفحة وبلغت كلماتها 260000 ألف كلمة وقد بيعت النسخة الواحدة منها بسعر دولارين و 75 سنتا وبعدد نسخ تجاوز ال 50000 نسخة أصبحت وقت صدورها عام 1939 الأكثر مبيعا في أمريكا ، وبحلول عام 1940 كانت الرواية قد تجاوزت طبعاتها أحد عشر طبعة بيعت منها 428900 ألف نسخة ، الطبعة الأولى منها يبلغ سعرها حاليا أكثر من 15000 ألف جنيه استرليني .

" عناقد الغضب " العنوان ، كيف جاء ؟

اتخذت الرواية عنوانها من نشيد أمريكي قديم كان يقول :

لقد شاهدت عيناي
مجد مجيئ الرب
وهو يدوس عناقيد الغضب
يصنع منها الخمر ..

النشيد كانت قد كتبته عام 1861 الشاعرة والناشطة الإجتماعية جوليا وورد هاو ، قال عنه شتاينبك :

- النشيد الأغنية كان العمال من عاصري الخمر يتغنون به وقد اختاره لي صديقي الصحفي ديريك جيمسون لكي يكون عنوانا للرواية .

شتاينبك معجب بهنري فوندا بطل فيلم " عناقيد الغضب "

مع أن جون شتاينبك قد باع حقوق روايته " عناقيد الغضب " إلى داريل زانوك مدير شركة فوكس للقرن العشرين السينمائية حينذاك بمبلغ قدره 75000 ألف دولار ، إلا أن الأخير شعر بالقلق إزاء الجدل الذي بدأ يتصاعد حول الرواية ، لكن المخرج جون فورد بدد تلك المخاوف واستطاع أن يقدمها في فيلم يهز المشاعر قال عنه شتاينبك :

- اعتقد أن كل الكلمات التي سأقولها عن الفيلم لايمكن أن ترقى إليه ولممثله هنري فوندا الذي جسد دور توم جوود بمهنية عالية .

هنري فوندا الذي ارتبط بعد ذلك بصداقة عميقة مع شتاينبك نراه في عام 1968 يسير في جنازة صديقه الروائي الكبير مطأطأ الرأس حزين .

غضب العنب .

شتاينبك ليس المؤلف الوحيد الذي استخدم هذا الإسم " عناقيد الغضب " لروايته ، ففي عام 1917 أصدر المؤلف بويد كبل (1878 - 1943) مجموعة قصصية بعنوان " أربع وعشرون ساعة في حياة جندي " ، القصص تدور عن الحرب العالمية الأولى وتحمل إحدى قصص المجموعة العنوان ذاته ، وهناك أيضا كتاب صدر في عشرينيات القرن الماضي حمل نفس العنوان ،أما الكاتب لويس بيردو فقد أصدر عام 2003 كتابا تحت عنوان " غضب العنب " حول صناعة النبيذ .

مكافاة بروس .

يفخر بروس سبرينجستين بأنه يملك تمثالا نصفيا من البرونز لجون شتاينبك حصل عليه أثناء منحه جائزة شتاينبك له عام 1996 من مركز شتاينبك في جامعة سان خوسيه الرسمي في ولاية كاليفورنيا ، سبرينجستين كان قد قدم وقتها أغاني مستوحاة من الرواية الشهيرة كانت إحداها والتي حاز بسببها على التمثال هي أغنية " غضب شبح توم جوود " التي لايزال يتذكرها جمهور واسع من محبي جون شتاينبك .

عن / صحيفة التلغراف اللندنية
١٤ أبريل / نيسان ٢٠١٤

بمناسبة صدور كتاب أبيها بالإنكليزية لأول مرة

سيسيل إيلوار تتذكر شبابها بين نوابغ الفنانين

ترجمة: تاتو

كانت طفولة سيسيل رائعة وملائمة كونها ابنة بول إيلوار أحد أشهر الشعراء السرياليين في القرن العشرين. وبينما نشأت في بيت العائلة في "أوبون" في شمال باريس في أواخر العشرينات فأن الفنان الدادائي الألماني ماكس أرنست كان يرسم لوحات من الفريسكو على جدران غرفهم.

والآن وهي في الخامسة والتسعين من عمرها تستذكر:" كان أرنست يرسم على حيطان كل غرفة في بيتنا. ثمة كانت بطة على عجلات تماماً فوق فراشي. في زاوية من غرفة الطعام رسم أرنست امرأة عارية كبيرة الحجم جسمها مشرّح". وتضيف:" تستطيع أن ترى الأحشاء الداخلية. وذلك أرهبني". كانت ثمة غرفة حمراء فيها امرأة أخرى تحتضن ثديها الضخم. "ذلك أرهبني بشكل لا يصدق". وفي الوقت نفسه وفي غرفة والديها رسم "أرنست"... يأكل نملاً وأيد بشرية كبيرة حول النوافذ. تقول بحياء:" اعتقدَ أنها إيحاءات جنسية".

أصبح الرسام الألماني أرنست صديقاً لبول أيلوار في الثلاثين من عمره و عشيق أمها (غالا). تقول:" عشنا هناك سوية بشكل طبيعي تماماً بضع سنوات. لا أتذكر أننا وجدنا الأمر غريباً".

وبما أنها نشأت محاطة ببعض أكثر الفنانين اللامعين غرابة ونبضاً بالحياة في القرن فإن إيلوار كانت لديها ثروة كبيرة من هذه المذكرات. لكنها كانت كتومة حين يتعلق الأمر بتقاسمها.

على الرغم من أن حشود عشاق الفن ومؤرخيه كانوا مسحورين بالحركة السريالية التي سيطرت على أوربا بين الحربين العالميتين فإن إيلوار قد أجرت ثلاث مقابلات فقط في حياتها وحتى الآن لم تجر أي مقابلة باللغة الإنكليزية.

لكن مناسبة الطبعة الجديدة من كتاب الأطفال الوحيد الذي ألفه أبوها الشاعر بعنوان "GRAIN-D'AILE"- 1951 قد ألهمها كي تتكلم بصراحة. وسوف يطلق الكتاب من جديد في فرنسا مع لوحات مصورة جديدة للفنان "شلو بيوزات". وسوف ينشر قريباً لأول مرة بالإنكليزية وربما يكسب جمهوراً جديداً لعمل إيلوار من الجانب الإنكليزي من القناة. إن ذكريات ابنته تفتح الباب على عالم مفقود طموح ونابض بالحياة فيه الأعراف ، سواء أكانت فنية أم أخلاقية، موجودة هناك من أجل الاستهزاء بها.

بعض مذكرات إيلوار المحببة تدور حول بيكاسو، الصديق الحميم، الذي اعتاد على أخذها إلى مباريات الملاكمة. تقول:" لم يظهر عليه كبر السن أبداً. لم أشعر بفارق السنين الأربعين بيننا. كنا نذهب ونسبح في "الفالوري" وكنت آتي وأزوره متى ما أردت في مشغله في "الرو دو غران أوغستين". كان يريني تماثيله الصغيرة. كان نشطاً جداً وعملياً وهو ليس تجريدياً مطلقاً".

هل كانت عشيقاته غاضبات من الصداقة؟ كانت "دورا مار" تنفر مني، أتذكر بشكل جيد، أخبرتني بذلك! لكن بعد ذلك، لم ترغب بالنساء وكانت مهتمة بالرجال فقط. كنت أحب المرأة الأخرى فرانسواز جيلو فهي ذكية وطيبة".

كانت سيسيل إيلوار عازمة على العثور على عشاقها وصداقاتها بين الشخصيات الطليعية البارزة. التقا أبواها، بول إيلوار وغالا " المولودة باسم "إلينا إيفانوفا دياكونوفا"، في سويسرا في مصحة عام 1913. كان في الثامنة عشرة وكانت هي في التاسعة عشرة. وقعا في الغرام وأدمنا الشعر والأدب الروسي وتزوجا عام 1917. بعد سنة ولدت "سيسيل أيلوار" وهي البنت الوحيدة للشابين الصغيرين. كانت سيسيل بالكاد تتكلم حين التقا والداها فيما بعد بالفنان المكافح أرنست عام 1921.

فقدت اللوحات التي رسمها أرنست في العشرينات بالفريسكو. حين أخبر إيلوار زوجته عنها بعد عدة عقود فإنهم ذهبا بالسيارة إلى بيتهما القديم الذي مازال مسكوناً من قبل الجواهريون الحرفيون الذي ابتاعوه من إيلوار في أواخر العشرينات." زوجي، الكاتب ورجل الأعمال، أجّر البيت منهم لمدة ثلاثة شهور وقام بتأجير مرمّم معروف كي يحك ورق الجدار ويستعيد لوحات أرنست المصنوعة من الفريسكو".

في أحد المساءات، قبل اليوم الذي كان فيه المرمم على وشك أن يعطوه أجره ويغادر سقط بعض الجص من السقف فظهرت لوحة أخرى لماكس أرنست. تقول:" لقد نسيت تماماً تلك اللوحة. كانت تضم راقصات باليه عاريات على قارب. استدعينا أرنست. أردنا أن يوقع على عمله. لم أكن متأكدة كيف سيكون رد فعله. في الواقع كان في منتهى السعادة حين رأى كل هذه اللوحات التزيينية التي نسيت لمدة طويلة".

وقّع أرنست في حينه على لوحات الفريسكو مقابل أجر. ثم قامت سيسيل ببيعها في المزاد العلني. تقول:" اشترت زوجة الشاه فرح ديبا اللوحات الكبرى. تستطيع أن تراها اليوم في متحف الفن الحديث في طهران". وبالنسبة للجواهريين الحرفيين لم يستطيعوا الاهتمام قليلاً بماكس أرنست. " كل ما أرادوه أن يسترجعوا ورق الجدران من أجل عيد الميلاد".

ألم تكن تفضل أن تحتفظ بهذه الكنوز؟

تقول:" لم أكن ثرية جداً. أو في الأقل لم تكن غنية كما ينبغي". والآن وبعد أن مات جميع من تورطوا في المسألة فإن إيلوار تستطيع أن تكشف كيف أن الزوجة الثالثة لأبيها التي تزوجته قبل بضعة أشهر من وفاته في تشرين الثاني عام 1952، جعلتها تتنازل عن أرثها (حسب القانون الفرنسي يرث الأطفال بشكل تلقائي من أبويهما). وقضت سيسيل وأطفالها نتيجة ذلك عقوداً طويلة في محاولة شراء قطع من المجموعة الفنية للعائلة في مزادات عديدة. ومن مجموعته الضخمة في الفن الأفريقي احتفظت بتماثيل صغيرة استعملتها مسدات للكتب.

كان بول إيلوار جامعاً شرهاً للكتب والقطع الفنية. ثمة صور معروفة التقطها المصور الفوتوغرافي "براسي" تظهره في البيت محاطاً باللوحات الزيتية لبيكاسو وبراك وماكس أرنست وشيريكو وشاغال ودالي. كان إيلوار يحب أن يكتشف مواهب جديدة ولديه ميل إلى سوق الفن. تقول:" لم يكن الشعراء أغنياء. كان شغفه بالفن وذوقه الطليعي يعني أنه استطاع أن يساند نفسه بالشراء والبيع للقطع الفنية".

وحين وافته المنية كان لدى إيلوار مجموعة ضمت الآلاف من الكتب الشعرية النادرة والتي يعود تاريخها إلى عصر النهضة. وكلها كانت تحمل علامة مكتبته التي صممها "ماكس أرنست" مع شعار " ما بعدي، النوم فقط".. باعت أرملته المجموعة – ومراسلات الشاعر الخاصة- شيئاً فشيئاً وعاشت بشكل مريح من عزبة إيلوار.

ماذا عن أمها غالا التي هجرت إيلوار لتتزوج من دالي وكانت عشيقة أيضاً للويس أراغون وأندريه بريتون؟

كانت سيسيل عمرها 11 سنة حين هجرتها أمها "غالا" مع أبيها. تقول:" بعد أن التقت بدالي عام 1929 لم تعد مهتمة بي بعد ذلك".

وبعد أن هاجرت غالا ذهبت سيسيل لتعيش مع جدتها لأبيها في باريس وكانت ترى أباها بشكل منتظم وترى أمها لمرة واحدة أو مرتين بالسنة. بالنسبة لغالا لم تعد سيسيل موجودة.

في أحد الأيام وفي حزيران عام 1940 وبينما كان جنود القوات الألمانية يسيرون قادمين من الفلاندرز نحو باريس وما جاورها أخبرها صاحب العمل في "مركز القمح" ، وكانت حينها في الثانية والعشرين، ، بأنها عليها وكل الوزارة أن يغادروا العاصمة حالاً بوسائلهم الخاصة. تذكرت سيسيل بأن أمها أجّرت "فيلا" في ساحل "أركاشون" من أجل قضاء الصيف.

تقول:" أخذني سائق شاب أنيق بشاحنته هناك. تطلبت الرحلة يومين. كان الملايين من الفرنسيين على الطرق يتجهون للجنوب هاربين من الاحتلال الألماني".

"وصلت إلى الفيلا وطلبت أن أرى أمي. قالت الخادمة أن غالا لم تكن لديها بنت وإني كاذبة. لم تكن غالا موجودة ولم يكن لديّ مكان لأذهب إليه. بقيت أتكلم مع الخادمة التي قالت أخيراً متحدية:" وصل هذا الصباح مارسيل دوشان ومان ري. سنرى أن كانا يعرفانك". فتحت الباب وكان دوشان وري يلعبان الشطرنج. تعرفا عليّ طبعاً بشكل جيد ولهذا أصبحت آمنة".

كانت رحلة مضطربة عبر العقود لكنها لم تكن رتيبة. وبالنظر إلى حياتها الغنية وزيجاتها الأربع فإن سيسيل إيلوار تقول:" كنت أتزوج وأتطلق بسهولة. لم تكن ثمة دراما فنحن نلتقي وننفصل سلمياً. كان أبي نفس الشيء وفي كل مرة كان لدينا حفلة.

تختم حديثها بالقول:" آه يا والديّ! ربما لم أحصل على الكثير من أمي لكن في الأقل كان لديّ أبٌ لطيف".

عن صحيفة الأوبزرفر ١٣ نيسان ٢٠١٤

في وصف بغداد الأخرى

قصة زيارة استثنائية لقلب بغداد

الى هيلا ميفيس ... عين بغداد

نجم والي

اقامة فعالية ثقافية في قلب بغداد في ساحة مفتوحة وأمام جمهور كثيف تعدى 500 شخص؟ من يتخيل ذلك؟ حتى أنا الآخر لم أتخيل ذلك يوميا، لا في رحلاتي الأخيرة لبغداد بعد 9 ابريل 2003 (تاريخ دخول المارينز لبغداد وهروب الديكتاتور صدام حسين)، ولا طوال سنوات منفاي الأربعة والثلاثين. حتى يوم سفري لم أظن، أن هناك ما يسر أو يستحق عناء المغامرة بزيارة بغداد، وأقله تقديم قراءة أدبية، الأخبار القادمة منٍ هناك، تتحدث عن انفجار السيارات المفخخة يومياً، وهي مسألة حظ، روليت روسي، لا يحتاج المرء إلا أن يكون في المكان الخطأ والزمن الخطأ، لكي يكون أحد ضحايا الإرهاب. خلال العامين الأخيرين فقط نفذ تنظيم القاعدة أكثر من 2000 هجمة دامية، سقط ضحيتها أكثر من 6000 قتيل عراقي، وأكثر من 20 ألف جريح، اضافة إلى 100 ألف اصابة نفسية نتيجة الانهيار العصبي، بسبب العنف المتلاحق، لكي لا نتحدث عن الرعب الذي بدأ يبثه رجال القاعدة وقوات الدولة الاسلامية في العراق والشام (داعش) منذ سيطرتهم على الأنبار والفلوجة في رأس السنة الماضية. اليوم يسيطرون على منطقة أبو غريب التي تبعد 32 كم على مشارف العاصمة بغداد.

ليس من الغريب أن يجد العديد من الأصدقاء والصديقات زيارتي لبغداد، مغامرة خالصة، "نوعاً منٍ الانتحار"، كما علقت إحدى الصديقات، والأكثر جنوناً، هو تقديم قراءة أدبية هناك. أمر مفهوم، فأنا نفسي فكرت بالأمر ملياً. هل من المعقول برنامج ما أفعله، أنني سأقف على مسرح في الهواء الطلق في قلب بغداد، أقرأ من رواية جديدة صدرت لي، وإلى جانبي تعزف وتنشد فرقة موسيقية بغدادية (كما هو البرنامج الذي ارسلته لي السيدة هيلا ميفيس من بغداد)؟ والأكثر: هل من المعقول أن تقف الى جانبي أمرأة شقراء، وتقرأ مقاطع من الترجمة الألمانية للرواية ذاتها؟ هل من المعقول أن يمر كل ذلك بسلام؟

كاتب الدراما العراقي، الصديق ح. م مثلاً، حذرني أنا وممثلة معهد غوتة الألماني في بغداد، قبل يوم من العرض، عندما التقينا صدفة به على هامش عرض مسرحي في المسرح الوطني، "هناك خبر عن استهداف المتنبي يوم غد الجمعة (يوم الفعالية)"، قال. التحذيرات تلك كلها، بعضها مبالغ بها، أخرى سببها خوف البعض أنفسهم، الذين وجدوا في التهديدات عذراً للبقاء في البيت، وعدم زيارة فعالية ثقافية، لم تثنينا أنا والسيدة هيلا ميفيس، ممثلة معهد غوتة، عن اقامة الفعالية الأدبية، على العكس، ليكن ما يكون، الموت على منصة وفي شارع المتنبي أفضل من الموت بسبب مفخخة في شارع آخر في بغداد؟

وحتى لحظة بداية الفعالية في يوم الجمعة، 28 مارس/آذار2014، لم أعرف أن ما سيحدث سيكون أشبه بالكرنفال: المسرح الذي وقفنا عليه هو منصة حجرية

بُنيت حديثاً على أرض بناية المحكمة القديمة في منطقة القشلة الواقعة على نهر دجلة، في شارع المتنبي، خلف المقهى البغدادية المشهورة مقهى الشابندر، البناية كانت تعرضت إلى حريق بعد 9 ابريل 2003، وهي واحدة من بنايات/خرائب عديدة في منطقة شارع الرشيد التاريخي، قامت بلدية بغداد بإعادة ترميمها بإشراف عبدالكريم المحمداوي، معماري متحمس وعضو في المجلس البلدي لبغداد، والذي فعل كل ما في وسعه لكي أقوم أنا ومعهد غوتة بافتتاح الخشبة، فعاليتنا هي الفعالية الأولى التي ستشجع الآخرين على القيام بفعاليات أخرى.

الفرقة الموسيقية، هي فرقة أنغام وادي الرافدين المعروفة بموسيقييها المميزين، وهي تعزف موسيقى تراثية تقليدية، يُطلق عليها في العراق وإيران المقام. قراءة أدبية مع فرقة مقام، هو أمر جديد في بغداد.

المرأة الشقراء، هي البرلينية هيلا ميفيس. ممثلة مكتب ارتباط معهد غوتة ببغداد، التي وراء كل شيء.

لكن كيف حدث ذلك؟ هل هناك بغدادان؟ بغداد المفخخات وكواتم الصوت وبغداد العمل والمرح، بغداد العلم والمتعة، بغداد العفة والمجون، بغداد الضحك والبكاء، بغداد الأزل بكل ما تحويه الحياة من أضداد؟

من يزور بغداد اليوم ويرى حركة الناس في الشوارع والأسواق، لن يصدق، أنها المدينة ذاتها التي تحتل من حين إلى آخر نشرات الأخبار. وحدها الاحصائية التي أعلنتها بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق في بغداد (يونامي) في شهر آذار/مارس الماضي تحدثت عن مقُتل 703 أشخاص واصابة 381 آخرين بجراح جراء أعمال العنف والإرهاب فقط في شهر شباط/فبراير الماضي، مشيرة إلى أن العاصمة بغداد كانت الأكثر تضرراً. رغم ذلك، مل الناس الجلوس في البيت. خاصة الشباب منهم. الخروج والتنزه هو السائد الآن. خاصة في الأحياء الواقعة في قلب مدينة بغداد، أغلب تلك الأحياء وحتى وقت قريب كان يقفل بعد الساعة الرابعة عصراً. كانت تتحول الى مناطق أشباح. شارع السعدون مثلاً. الشارع المعروف بازدحامه بالفنادق والمطاعم والحانات وصالات السينما، كما في نهايته، عند المنطقة الراقية لكن الشعبية أيضاً الكرادة، لا ينام اليوم إلا بدقائق قليلة قبل الثانية عشرة ليلاً، ساعة منع التجول، بل يتعداها أحياناً، خاصة بالنسبة للمقيمين فيه. فندق بغداد مثلاً، الفندق الذي أقمت فيه، يبقى البار والمطعم فيه مفتوحاً حتى الساعات الأولى من الصباح. أما النوادي الليلية الواقعة على أطرافه حتى شارع أبي نؤاس على نهر دجلة، فتزدحم بالزبائن في ساعات منع التجول بالذات، بين الثانية عشرة ليلاً والخامسة صباحاً.

الجنات الصغيرة هذه التي حررها البغّادة لأنفسهم، عديدة، بعضها في الليل وبعضها في النهار. شارع المتنبي، مكان فعاليتنا هو جنة البغادّة النهارية، خاصة نهار يوم الجمعة. ولمن لا يعرف الشارع، المتنبي هو أقدم شارع في بغداد، هنا نشأ أول كتاب كما نعرفه بشكله الحالي وإن بحجم أكبر وبخط يدوي، في القرن التاسع الميلادي، شارع المتنبي أو شارع الوراقين قديماً، هو المكان التقليدي لبيع الكتب في بغداد، على أطرافه تأسس بيت الحكمة "أول جامعة في التاريخ". الشارع الذي أطلق عليه أيضاً شارع الثقافة، يجذب اليوم إلى جانب القراء والكتاب جمهوراً شبابياً خليطاً، فنانين ورسامين وعازفين، أغلب هؤلاء الشباب يلتقون عبر وسائل التواصل الاجتماعي كالفيسبوك، ينظمون فعاليات آنية في ذلك الشارع، أيضاً العديد من العائلات البغدادية وجدت في الشارع فسحة للتجول في نهاية الأسبوع.

إحدى الشابات التي التقيت بها على هامش فعاليتنا، والتي طلبت مني توقيعاً على نسختها من "بغداد مالبورو"، قالت لي، "شكراً، أنك قدمت من المانيا، كم نحن بحاجة لهذه الفعاليات"، نعم، أعرف أنهم بحاجة الى هذا التضامن، وهذا ما جعل المغامرة تستحق العناء، يمام، زميلتها التي هي مثلها عازفة كمان، والتي جاءت قادمة من حيّها في الضواحي بعد سماعها خبر الفعالية، متحدية مخاطر الطريق مثلها مثل بقية من حضروا الفعالية، لم تخف هي الأخرى حماسها بالحديث أمامي عن الأدب والفن، بالنسبة لها، لن يتحقق الجمال في العراق بوجود الخوف، وأن الأدب هو مثل الموسيقى نوع من انواع الجمال، الاثنان هما غذاء الروح من خلالهما ننشر مفاهيم الخير والسلام، شخصياً، انها مستعدة للذهاب الى اخطر الاماكن لكي تدخل الفرح الى قلوب الناس من خلال العزف والغناء.

الإرهاب والسيارات المفخخة وسلطة مرتشية من جهة، ومن الجهة الأخرى هؤلاء الشباب، الذين يتحدون الموت. وهم الشباب هؤلاء وليس غيرهم من يصنع الصورة الجديدة لبغداد. كأن هناك بغدادان؟ بغداد التي يضغط فيها الارهابيون على الزناد لقتل الابرياء، وبغداد الأخرى التي ترتفع فيها اصوات الشباب هؤلاء تنادي بالسلام والحب. وشكراً للبرلينية هيلا ميفيس التي لم يمنعها الوضع الأمني السيئ، من التجول معي عبر أزقة وشوارع وأسواق بغداد، فبدونها ما كنت تعرفت على بغداد الأخرى، غير تلك التي نعرفها من القنوات التلفزيونية ونشرات الاخبار: بغداد الأمل والسلام والحب. الغرباء هم عيون المدن التي يقيمون فيها. البرلينية هيلا ميفيس هي عين بغداد. وهي العين هذه التي جعلتني أتصالح مع بغداد بعد قطيعة سنوات، التنزه في حدائقها والسير في شوارعها، الشرب في نواديها على دجلة ولقاء الاصدقاء، مشاهدة العروض المسرحية والأفلام، بكلمة واحدة: أنها أرتني الوجه الآخر، الوجه الذي افتقدته لبغداد، وها أنا أستعيده شكراً لها بعد 34 عاماً من النفي والفقدان. عدم الشعور بالخوف، والتجول معها في بغداد كما لو كنا في برلين، ما كان يحدث بدون المرأة الشجاعة هذه. لنتخيل ذلك: عشرون امرأة من بلدان أوروبية مختلفة، يسرن على خطى البرلينية هيلا ميفيس، يقمن أنشطة في بغداد؟ هل يمكن تخيل ما سيحدث للمدينة من تغيير؟ بهذا الشكل لن يصعب علينا بعد الآن تخيل اقامة فعالية في قلب مدينة مثل بغداد وفي ساحة مفتوحة وأمام جمهور كثيف. بل بهذا الشكل سينهزم أيضاً الارهاب!

خيري الضامن و تورغينيف ودستويفسكي

أ.د. ضياء نافع

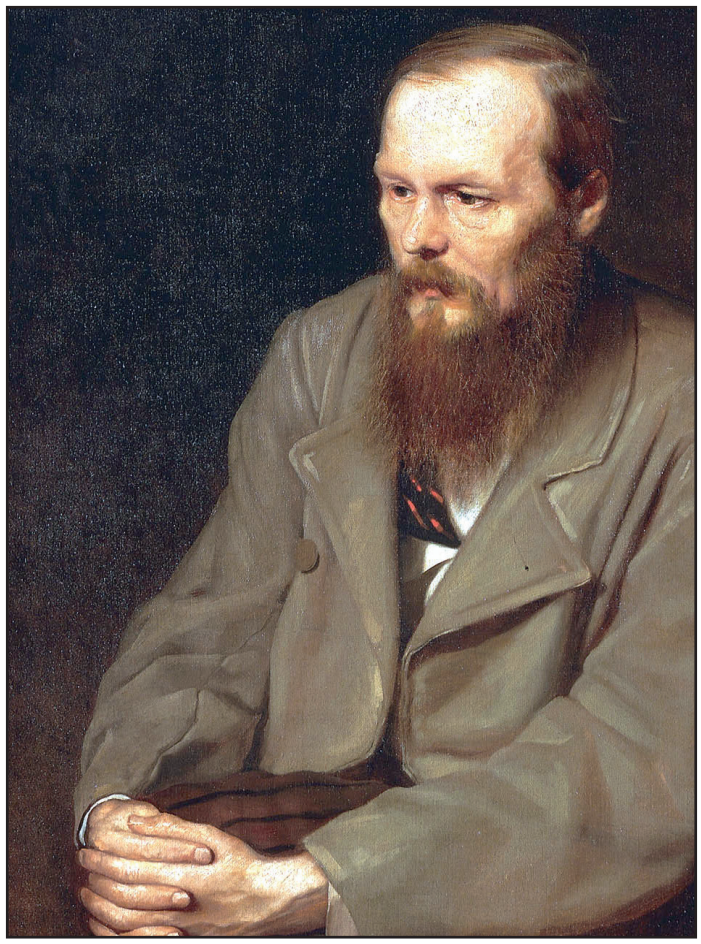

خـيري الضامـن - اسـم عراقـي لامـع في دنيـا الترجمـة مـن اللغـة الروسـية الى العربيـة في مجـالات وعـوالم الادب الـروسي و السياسـة وتاريـخ روسـيا، وتمتـد تجربتـه الابداعيـة هـذه عـبر سـنوات طويلـة ابتـدأت منـذ سـتينيات القـرن العشريـن ولا زالـت مسـتمرة لحـد الان، ورغـم هـذه المسـيرة الحافلـة لم اسـتطع ان أجـد قائمـة متكاملـة ومنسـقة حسـب تسلسـلها الزمنـي لتلـك الكتـب المترجمـة التـي أنجزهـا هـذا المترجـم الكبـير طـوال حياتـه، كـما هـو الحـال بالنسـبة للمترجمـين المبدعـين العراقيـين الآخريـن، خصوصـا هـؤلاء الذيـن اضطرتهـم ظـروف العـراق الرهيبـة المعروفـة للعيـش خـارج العـراق، وقـد حاولـت ان اتحـدث مـع الاسـتاذ خـيري الضامـن مباشرة حـول ذلـك ولكنـي اصطدمـت (واؤكـد على كلمـة أصطدمت) بتواضعـه الجـم الاصيـل والنابـع مـن أعـماق اعماقـه، وهـو مـا نسـميّه تواضـع العلـماء بالطبـع حسـب التعبـير الجميـل والخالـد في تراثنـا العـربي العريـق، و ذكّـرني رأسـا ببيـت الشـعر الـذي ذهـب مثـلا حـول السـنابل المليئـة التـي (تنحنـي بتواضـع) وكيـف ان (الفارغـات رؤوسـهن شـوامخ)،(وكم شـاهدت واسـتمعت وتلمسـت وعانيـت وتألمـت في حيـاتي مـن تلـك السـنابل الفارغـات وترهاتهـم الفجـة وأكاذيبهـم وادعاءاتهـم), وهكـذا لم احصـل اثنـاء حديثـي الهاتفـي المبـاشر معـه عـلى اي اجابـات عـن تسـاؤلاتي وعـن اي معلومـات حولـه ولا عـن قائمـة الكتـب التـي ترجمهـا طبعـا، بـل انـه حتـى تعجّـب مـن اسـئلتي حـول كل ذلـك وسـألني عـن سـبب تلـك الاسـئلة مـن قبـلي، وقـد أجبـت بـاني ارغـب بالكتابـة عنـه، ولا زالـت تـرن في روحـي وقلبـي كلماتـه المتواضعـة وهـو يرجـوني (نعـم، يرجـوني) الا اكتـب عنـه بشـكل غـير اعتيـادي او أكـثر مـما يجـب, لانـه شـخص قـد (أدّى عملـه وواجبـه ليـس الا) كـما قـال لي.

بـدأت - بعـد تلـك المحادثـة الهاتفيـة - بالعمـل عـلى جمـع المعلومـات هنـا وهنـاك عـن الكتـب التـي ترجمهـا وبلـورة الافـكار والآراء حولهـا، واول فكـرة خطـرت ببـالي و اريـد ان أتوقـف عندهـا واعلنهـا هنـا - هـي ان اقـدم اقتراحـا الى قسـم اللغـة الروسـية في كليـة اللغـات بجامعـة بغـداد بكتابـة رسـالة ماجسـتير تتنـاول مقارنـة بـين ترجمـة الدكتـور أكـرم فاضـل عـن الفرنسـية والكاتـب ذو النـون أيـوب عـن الانكليزيـة لروايـة تورغينيـف - (الابـاء والبنـون) والصـادرة في بغـداد عـام 1950 وبـين ترجمـة خـيري الضامـن لنفـس تلـك الروايـة عـن الروسـية والصـادرة في موسـكو عـن دار نـشر (رادوغـا) (قـوس قـزح) عـام 1985 ضمـن مؤلفـات تورغينيـف بخمسـه أجـزاء، اذ ان هـذا العمـل العلمـي سـيؤكد اولا حقيقـة طريفـة وسـاطعة في موضوعـة الادب الـروسي في العـراق وهـي ان ترجمـة روايـة تورغينيـف (الاباء والبنـون) ذات المكانـة الكبـيرة والموقـع المتميـز في مسـيرة تاريـخ الادب الـروسي بشـكل خـاص والادب العالمـي برمتـه ترتبـط قبـل كل شـئ بالمترجمـين العراقيـين وبحركـة الترجمـة في العـراق بالـذات، وهـي صدفـة ليـس الا بالطبـع ولم تحـدث نتيجـة تخطيـط مسـبق، ولكنهـا - مـع ذلـك - تدعـو للفخـر والاعتـزاز وتقتـضي وتسـتحق - مـن وجهـة نظرنـا - ابرازهـا عربيـا وعالميـا كـما يجـب لانهـا دليـل مـادي حاسـم حـول نضـوج حركـة الترجمـة العراقيـة بـلا شـك، وثانيـا، سـيكون هـذا العمـل درسـا تطبيقيـا رائعـا وممتـازا في مجـال الترجمـة الادبيـة الى اللغـة العربيـة عنـد مقارنـة اجتهـادات هـذه المجموعـة مـن المترجمـين الكبـار لنـص روسي كلاسـيكي نموذجـي في الادب الـروسي كتبـه اديـب عمـلاق مثـل تورغينيـف (توجـد في ترجمـة خـيري الضامـن مثـلا جملـة - الربيـع يختـال ضاحـكا، وهـو اسـتخدام رائـع لتلـك الصـورة الشـاعرية المدهشـة الجـمال مـن قصيـدة البحـتري المشـهورة، ويسـتطيع الباحـث ان يقـارن هـذه الجملـة عنـد تورغينيـف في النـص الـروسي بترجمـة الضامـن وكيـف ترجمهـا اكـرم فاضـل وذو النـون ايـوب، وهـذا المثـل غيـض مـن فيـض طبعـا في ثنايـا تلـك الروايـة)، وكـم اتمنـى ان يحقـق قسـم اللغـة الروسـية هـذا المقـترح، واود ان اعلـن هنـا - في حالـة اقـرار هـذا المقـترح - عـن اسـتعدادي التـام والكامـل وبـاي صيغـة يراهـا القسـم ولجنتـه العلميـة للتعـاون مـع المـشرف العلمـي عـلى هـذه الاطروحـة ومـع طالـب الماجسـتير الـذي سـينجزها, وانـا عـلى يقـين، ان هـذه الاطروحـة - في حالـة انجازهـا - سـتكون واحـدة مـن الاطاريـح المتميـزة والمهمـة والبـارزة في مسـيرة القسـم وفي مجـال الدراسـات الروسـية - العربيـة المقارنـة في العـراق خصوصـا و العـالم العـربي برمتـه عمومـا وانهـا سـتكون عمـلا علميـا جديـدا وخطـوة رائـدة بـكل مـا تحمـل الكلمـة مـن معنـى في مجـال الدراسـات الترجميـة المقارنـة.

الفكـرة الثانيـة التـي اريـد ان اتوقـف عندهـا في هـذا السـياق ترتبـط بترجمـة خـيري الضامـن لمذكـرات زوجـة دستويفسـكي الثانيـة آنّـا غريغوريفنـا دستويفسـكايا (1846 - 1918) والصـادرة في عـام 1925 ولم يسـبق ان قـام احـد بترجمتهـا الى العربيـة، هـذا العمـل الترجمـي الرائـع والمتميـز والفريـد والتـي كانـت تنتظـره المكتبـة العربيـة بـلا شـك باعتبـاره واحـدا مـن المصـادر الروسـية المهمـة حـول دستويفسـكي وسـيرته الذاتيـة انسـانا واديبـا مبدعـا بشـكل عـام ، وهـذا المصـدر الـذي قدمـه لنـا خـيري الضامـن يحتـاج الى حملـة واسـعة و دعـم معنـوي في وسـائل الاعـلام المختلفـة يتناسـب مـع أهميتـه واصالتـه وقيمتـه النقديـة، خصوصـا واننـا نـرى هنـاك تلـك الهوامـش ذات المضامـين التفصيليـة المعمقـة والعلميـة الملحقـة بذلـك النـص، هـذه الهوامـش الضروريـة لاكـمال هـدف وقيمـة مـا كتبتـه زوجـة دستويفسـكي، وهـو مـا قـام بـه خـيري الضامـن بشـكل ممتـاز و متكامـل جـدا انطلاقـا مـن موقفـه العلمـي والموضوعـي امـام القـارئ العـربي كمترجـم لذلـك النـص، اذ توقـف عنـد اسـماء مثـل المفكـر الاشـتراكي بيتروشيفسـكي والناقـد الادبي بيلينسـكي والشـاعر والصحفـي نكراسـوف وبقيـة اسـماء الاعـلام الذيـن يرتبطـون بمسـيرة دستويفسـكي الابداعيـة, ومـن المهـم الاشـارة هنـا الى ان الجديـد في هـذه المسـألة بشـكل عـام يكمـن في ان المترجـم قـدّم لنـا نصـا متميـزا جـدا يتضمـن اولا وقائـع مـن حيـاة دستويفسـكي ويحتـوي في نفـس الوقـت عـلى صـورة قلميـة فنيـة تعكـس خصائـص ابداعـه الادبي، وبالتـالي فـان المترجـم قـد حقـق في الواقـع خطـوة جديـدة في مسـيرة الترجمـة العربيـة عـن اللغـة الروسـية لم توليهـا دور النـشر السـوفيتية آنـذاك اهميتهـا ولا مكانتهـا اللائقـة بهـا، اذ انهـا ركـزت عـلى النتاجـات الادبيـة دون الاخـذ بنظـر الاعتبـار الدراسـات النقديـة او الصـور القلميـة والمذكـرات حـول تلـك النتاجـات بشـكل عـام وهـي مـواد تكميليـة وضروريـة بـلا ادنى شـك مـن اجـل فهـم واسـتيعاب تلـك النتاجـات الابداعيـة وقيمتهـا واهميتهـا.

ختامـا اريـد ان اطـرح سـؤالين، السـؤال الاول - هـل اوفيـت في هـذه السـطور حـق الاسـتاذ خـيري الضامـن كمترجـم مبـدع امامنـا - نحـن القـراء ؟ ربمـا يمكـن ان اقـول - نعـم جزئيـا، لاني لم اتنـاول كل ابداعـه الترجمـي المتنـوع تفصيـلا, ولكـن في الاقـل طرحـت هـذا الموضـوع المهـم ليـس الا في مسـيرة حركـة الترجمـة مـن اللغـة الروسـية الى اللغـة العربيـة وتحدثـت عـن اهميتـه ومكانتـه الحقيقيـة فيهـا، والسـؤال الثـاني هنـا هـو - هـل سـيكون الضامـن راضيـا عـن كل هـذه السـطور عنـه ام ان تواضعـه الجـم سـيجعله غـير سـعيد بهـا ؟؟ ولـن انتظـر جوابـه عـن هـذا السـؤال، بـل سـانشر هـذه السـطور واعطـي للقـراء حريـة الحكـم النهـائي بشـأنها.

استطرادات في **قضايا الشعر**

محمد صالح عبد الرضا

(1)

من يدرس الرمز الشعري كوسيلة فنية مهمة في الشعر ؛ يدرس الإيحاء والتلميح اللذين يلجأ إليهما الشاعر للدلالة على ما وراء المعنى الظاهري ، ليكون هنالك جامع بين الشاعر والمتلقي بما يحدث من أثر نفسي بدلالته الموحية، ولذلك كان على الشاعر ان يجعل لرموزه مفاتيح تضيء معانيها لتنمو مع المعنى المباشر نموا داخليا وهي تعتمد على صوره المعنوية التي يبتدعها بعلاقات جديدة مشروطة برؤياه الذاتية وبما هو عميق في النفس والحياة الذاتية أيضا .

(2)

قد تقرأ قصيدة فيعجبك انثيال صورها المتلاحقة التي تتداعى خلالها المعاني والتحليلات المرسومة بمفردات طيعة جميلة ذات أسلوب يفضي على القصيدة ثوبا متوهجا بالصدق والبساطة . غير أن ثمة تعبيرات لافحة بالرموز الذاتية وغيرها جاهزة تضعف بعض صورها . وقد يؤثر ذلك في تلمس أي اشتعال وجداني أو مؤثرات شاخصة تدخل في تشكيل اللوحة الشعرية و أنواعها .

(3)

وقد تقرأ قصيدة ذات تجربة يومية ذات بساطة في التكوين الشعري وصورها المتحركة داخلها قصيدة لغتها صافية تدخل في حبكتها ولا تضيع في التفصيلات المسهبة، وذلك لقدرتها في طرح الأفكار الرمزية المكثفة والصور النغمية التي تؤكد الوعي النبيل للشاعر. ولا شك ان التناول الحياتي ألصميمي يكشف عن وعي الشاعر الملتصق بتجارب الناس فتكون القصيدة اليومية تركيزا في الواقع حين يضع الشاعر يده على موضوعات حياتية خصبة وصور رقيقة توقظ فينا الحلم .

(4)

وقد تقرأ قصيدة لا تقتصد بالصورة والإيحاء . وقد يرتسم أمامك سيناريو شعري يحتاج الى تقطيع لتخرج بعد ذلك القصيدة صافية مكثفة . ما دام شاعرها لا يعدم نكهة الشعر والقدرة على التقاط الصور الخلابة ويحافظ على الوحدة الفنية لقصيدته وهو يمتلك مخيلة تصويرية حساسة أيضا .

(5)

وقد تقرأ قصيدة تتمثل بها تجربة ما لكن القارئ حين يستقصي أبعاد صورها يحس ان معماريتها تعاني بعض التكلف ولا تهتم فيها اللغة بالتجربة إلا قليلا . . قد تكون فيها كثافة شعرية وتنسيق منطقي لأغلب المشاعر والصور الوجدانية التي يتفتح فيها البوح التعبيري على نقاء اللغة وغنى الإيحاء فلا تترسب في أجزائها هواجس اعتيادية أو انفعال طاغ ، فالشعر ما يقول أليوت" ليس إطلاقا لسراح الانفعالات " .

(6)

وقد تقرا قصيدة أخرى لا تتخطى حدود التعبير المعتاد ولا تستغني عن المفردات التقليدية إلا قليلا وترى شاعرها لم يتقن قماشه على جسد القصيدة جيدا وعليه ان يشذب زوائده وتقرأ فتود ان يتخلص الشاعر من افتعال التقفية . وترى ان صورة جلية خاضعة لنظام القصيدة والتكوين اللفظي فيها يستغرق وجدان الشاعر ويقتلع جذوره الساكنة وحينها تحس الشاعر بأن الشاعر يمتلك بداهة الرؤيا في الأداء المضفور حول بؤرة القصيدة .

(7)

وتلحظ وأنت تقرأ قصيدة ما ؛ استخدامات الشاعر للصورة المبتورة . وهو يحاول ان يستحث الشكل على نقل حدث درامي أو يطوع من طاقاته في اختبار اللفظة المناسبة مستخدم براعته في التوليد والصياغة حد أنه ينمق اللوحة ويظللها بألوانه الخاصة.ولكنه في النهاية لابد ان يفهم ان الشعر ليس احترافا قدر ما هو كشف إضافة الى كونه نوعا من العذاب الحقيقي .

(8)

دارسوا الشعر المعاصر كيف يستنطقونه ؟ يتتبعون قيمه الفنية ؟إن ذلك يتطلب حسا فنيا خاصا

لاستخلاص خصائص أو ظواهر معينة أو لتذوق حس شعري وتحليل عناصره الجمالية والمؤثرات النفسية والاجتماعية التي اشتركت في تكوينه. ترى أحيانا دارسا أتقن واستوعب مادته وتمثلها التمثيل الصحيح فحين يكتب كأنه خالط حياة الشعر وأفكاره ومشاعره فتلتمع إشارته بشك ملحوظ .

(9)

ودارس الشعر دراسة واعية على صعيد الدرس الموضوعي يستطيع ان يقدم صورة فكرية منظمة في السياق التحليلي الفني فيكشف بذلك عن قدرة تحليلية تستقي إمكاناتها من الثقافة النقدية المعاصرة التي تتجاوز الأساليب النمطية ويستطيع كذلك ان يفسر رموز القصائد ودلالاتها بما ينم عن فهم متوازن يقوم على الاستنتاج المقنع ويتجنب التحليلات المسرفة .

(10)

كيف يوفق الشاعر في خلق طابعه الشعري وموسيقاه الصافية ؟ وكيف تتنفس قصيدته همسات تدخل في تذوق صفاء الصور وإيقاعها ؟ انه نظام دقيق في الجملة الشعرية ذات البنية الموسيقية أو الدفقة الشعورية التي تعبر عن نفسها موسيقيا وهي بعد ذلك إيقاع روح الشاعر .

(12)

للصورة مكانها في القصيدة التي يحس القارئ بدفئها بما تعبر عن شعور يكشف أشياء الصورة وقوة تعبيرها والصورة الشعرية التي لا تنغلق على نفسها توقظ فينا نضارة التجربة حين تكون ماهرة بارعة عميقة ونافذة تحمل السحر الكلمة وتوقد الجذوة الشعرية في نشوة الإحساس بها . . أنها وسيلة فنية لنقل التجربة التي تعد صورة كبير للعمل الشعري نفسه.

(13)

ناقش شاعر عراقي مرة الأدونيسية مشيرا الى ان ارض العراق أغنى من ان تكون الأدونيسية لها مثلا ،ففي لبنان مثلا لن تنتج الأدونيسية إلا أدونيس داعيا الى غنى القاموس الشعري ـــ حين رأى ان شعراء الموجة الجديدة يعيدون استعمال أدوات مستعملة . وقد تكون كلماتهم أليفة مؤنسة ، ولكنها لن تكون المهر الذي يصعب امتطاؤه ، وان على الشاعر ان يخلق لغته .

(14)

وقد تروقك قصيدة يتحرك فيها عنفوان شعري لألق يعلو وجهها الذي لا يضيع في زحمة الوجوه ، قصيدة رشيقة واضحة لها افضاءاتها المتوهجة بالإثارة فتدخل أفق الدهشة من خلال معاناة وجدانية يسعى الشاعر لإجلائها بذاكرة عينية غنية بالصور .

(15)

حين يقدم الشاعر تجربته برؤيا مركزة محكمة البناء يقدم قصيدة أعمق امتلاء بحس التكثيف والتركيز بكل الإيحاءات والرموز . . وتلك حقيقة الشاعر حين يكون بالغ الصفاء والحيوية .

(16)

وحين يكتب الشاعر بأنامل مصمم الأزياء يعكس وعيا وجدانيا يزداد اقترابا من القارئ الذي يقيم لقصيدته أفق علاقة مع تجربته الداخلية .

(17)

حين يكتب الشاعر الكبير قصيدة فذة يكون له في مكتباتنا وأوراقنا وهج خاص لا ينطفئ برسم الشاعر الذي يدرك أقسى اللحظات بين الدجى والضوء وبين الأمواج التي لا تجهل رمالها فتمشي قصيدته في الشارع نحو البيت لتعبر الأفق الى قلوب تخطو معها وشفاه تصدح بها وتشرب معها الشاي .

(18)

من الشعراء من يواصل مسيره الشعري في دروب الشعر الحق مستمدا من رهافة ضميره و اشراقة إيمانه ما يضمن رضا النفس بعيدا عن ضوضاء الأهواء المتصارعة، يواصل الشعر يعطيه من نفسه وزمنه حيث التأمل الشفاف في عالم النفس الرحيب وما يغمرها من صخب بالفكر والحياة والناس وحيث الصورة الشعرية مفتاح للجملة الشعرية والرمز الذي يتحرك فيها .

(19)

الشاعر المبدع تبني قصيدته مستواها الخاص وتقتنص أكثر من لقطة لمشهد أو إيقاع للذاكرة ، انه يمزج رؤياه مع صور الدهشة والمفاجأة حيث تأخذ الصورة الاستعارية حجما خاصا في سياق صوره الشعرية التي تمضي مع المعنى الشعري الى أبعد غاياته التي تمعن في التجربة إمعانها في الإنسان.

(20)

والشاعر حين يكون شاهد عصره لابد ان يكون للتوتر الحيوي بينه وبين الوطن مدى يستقي دلالاته من جماليات المكان وعلاقة الرمزي بالواقعي بغية اقتناص سحر المفردة بسعادة قصوى ، وكأن القصيدة أرض مبهجة يلقي عليها الشاعر روحه التي تواكب إيقاع همس الكلمات . فتنطوي تجربته على حرارة اليقين الذي ينزف غناء فسيتأثر بحواسنا لكونه ينبع من قلب معاناته .

(21)

حين يفيض التعبير الشعري عن وجدانية صادقة يرتقي بالقارئ إلى تأملات يتحرى أبعادها في قصيدة لا تروق ألفاظا ولا ترصف معاني منفعلة بل ترسم صورها الباهرة وتبلور تعبيرها بنسيج يتحرك فيه الحس الشعري وهي تتعامل مع اللغة بغليان شعوري وراء استعاراتها ورموزها وحرارتها الوجدانية لتشرق الكلمات إشراقا خلابا وهي تعبر عما يجب في قرارة نفس الشاعر .

(22)

المشاعر المضطردة في مسار قصيدة الشاعر المبدع تندمج في حلمه وتمثل خلاصه الإبداعي في صيرورة تحمل الخصب والثراء حيث الإثارة الوجدانية ويكون تقديره لشعره باعثه قدرته الجمالية في إبداع الصياغة القيم فضلا عن القيم المعنوية ومؤثراتها الفاعلة في قصيدته التي تحكم الصلة بين الرمز والصورة والشكل والمضمون ، ولذلك فللشاعر المبدع طراز خاص يحتفل بالأثر الفني للنص الشعري .

(23)

حين تنم لغة الشاعر عن صحة في الطبع ونصاعة في الرؤيا فإنها تجري جريان سمح كريم وتؤدي غرضها الذوقي في مساق التجارب الشعرية التي تستنشق نبض لكلمات بما يفوق الشحنة الانفعالية وكأن القارئ يتكلم مع القصيدة ويخاطبها متغلغلا في أعماقها وبخاصة حين تخرق المألوف في القاموس الشعري وحسبنا في ذلك ما قاله الجرجاني ان الكلام إذا (خرج من موضع ليس بمعدن له كانت النفس أكثر إعجابا به وأكثر شغفا) .

جفنه علم الكلام

◆ د عواطف نعيم

أسعيدة الحظ أنا ؟ قد أكون ولم لا فلدي فسحة للبوح تمنحها لي صحيفة تاتو لاسجل خواطري.. انثيالات ذاكرتي .. هواجس روحي ولوعات الوجدان.. أسعيدة الحظ أنا ؟ قد أكون ولم لا فأينما يممت وجهي في خرائب الوطن الصامت كبرياء وحزنا عرفت حجم الحقد الذي يتلبس النفوس الصغيرة وهي تحاول أن تهدم وتشوه وتزيح عمق حضارة وطن ووهج ثقافة وضحكة أمل في أرض السواد , أسعيدة الحظ أنا ؟ قد أكون ولم لا لاني أشهد كل يوم أوجاع الكون وهي تجثم غيمة قاتمة تسد منافذ الضوء وتطيح بأمال الصغار الراكضين خلف فراشات ملونة سرعان ما تحولت الى رماد بفعل نيران صديقة ونيران عدوة وأبقت عيون الصغار مزروعة بالهلع .. أسعيدة الحظ أنا ؟ قد أكون ولم لا وأبناء بلدي في شتات وضياع وحيرة خوف وتوجس يرتطمون مع بعضهم البعض بفعل تيارات الطائفية والحزبية والكتلوية والفساد والنهب والارهاب ..أسعيدة الحظ أنا ؟ قد أكون ولم لا فأنا أشهد كل يوم على أوجاع أهلي ووحشة الطرق وضياع القيم وفقدان الصحبة الحقة .. أشهد تبدل الوجوه والدواخل لمن اعتاد نزع الجلد وتغييره وانزواء القامات الكبيرة ممن تعود ان يمشي بخطى مستقيمة ورأس مرفوع وقلب ينبض بالمحبة والتسامح.. أسعيدة الحظ أنا ؟ قد أكون ولم لا وأنا أشهد كوميديا ساخرة تدور احداثها ووقائعها كل يوم بين بعض ممن جاؤا ليحتلوا في غفلة من الزمن مناصب ومراكز ما كانوا يتوقعونها يوما وليحصدوا ويغنموا ثروات ما خطرت في بالهم حتى في احلامهم وهم مكشوفي الغطاء , أفراد من البهلوانيين واللاعبين على الحبال والمتنقلين بين هذه الكتلة وذاك الحزب .. أسعيدة الحظ أنا ولم لا قد أكون رغم أن الكهرباء تم اعطالها في عرضي المسرحي (برلمان النساء) لاني كما يبدو قد عريت بعض النفوس الخاوية من اي نبل وكرامة وانتخيت لوطن ابتلى باللصوص وأكلي السحت الحرام فأثرت الذعر لدى الفاسدين الذين وجدوا انعكاسا لصور فسادهم في ذلك الكباريه السياسي الجريء فأخفوا ذعرهم من التعرية بالتعلل والتعذر بالكهرباء ومنحوا عرضي خلودا ومكانة دون ان يدركوا ونسوا أن المسرح برلمان للشعب وان فضاءه الحرية وان لامجال لوضع خطوط حمراء او صفراء على ما يقدم فيه من حقائق .. أسعيدة الحظ أنا ؟ ولم لا قد أكون ألست أحيا في زمن الخرافة والوقاحة والزيف والنهب والارهاب الفكري والجسدي المبرر على وفق قوانين وتخريجات وتشريعات لا يتقنها الا الراسخون في التلاعب والفساد والتحريف .. نعم سعيدة الحظ أنا ما دمت قد نجوت بروحي وفكري من دوامة السفه والتيه والوقاحة وحفظت مشروعي الفني والثقافي من التلوث في مزاد بيع الذمم !

كاتبة ومخرجة مسرحية

ميكيل موربورغو

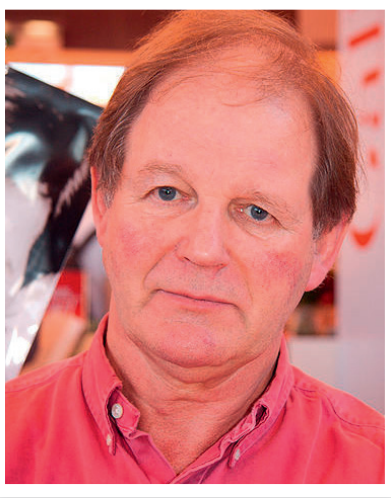

ترجمة: تاتو

ميكيل موربورغو شاعر وكاتب روايات وقصص أطفال ومدير مكتبة إنكليزي، ولد عام 1943 وهو ثالث كاتب أطفال في بريطانيا يحوز لقب شاعر البلاط للسنوات من 2003 حتى 2005 .

بعد تخرجه من جامعة كلية الملك – لندن عمل في سلك التعليم الإبتدائي في مقاطعة كنت حيث اكتشف دوره الحقيقي في الحياة، عندما أدرك موهبته، في عشرينيات عمره، في سرد الحكايات، وعبر عن ذلك بقوله: "رأيت ثمة سحراً في الحكايات ولاحظت، أيضاً، ثمة سحراً في سردها من قبلي".

تأثر موربورغو بكتاب شاعر البلاط الراحل تيد هيوز (صناعة الشعر) وصارا صديقين وجارين، كما تأثر برواية الأمريكي إرنست همنغواي (الشيخ والبحر).

تبرع الكاتب عام 2009 بقصة قصيرة له عنوانها (انظر إليّ، أنا بحاجة لابتسامة) إلى المؤسسة الخيرية المعروفة (أوكسفام) ضمن أربع مجموعات قصصية شارك فيها 38 كاتباً بريطانياً.

كتب في صحيفة (ذا غارديان) البريطانية يصف غرفته:

اعتدت الكتابة على أي طاولة في أي غرفة، وأينما كنت حيث الهدوء. لكنني وجدت، كلما حاولت تكثيف كتابتي، وتضييق الخناق على قلمي، أن نصي ينكمش بينما يشتد الألم في رسغي وذراعي.

ذات أمسية سألت صديقي وجاري تيد هيوز كيف يكتب. قال: أواجه بعض الصعوبات وأكتب الآن واقفاً عند منصة للكتابة.

فكرت... جربت طريقة صديقي لكن قدميّ بدأتا تؤلمانني، هذه المرة.

بينما كنت أقرأ سيرة ملهمي الكاتب روبرت لويس ستيفنسن لتقع عيناي على صورة له في سنواته الأخيرة، كان يؤلف كتاباً وهو مستلق على سريره، مستنداً إلى وسائد عدة ومستريحاً على ركبتيه. لذلك كتب جزيرة الكنز! قلت في سري.

صعدت إلى غرفة النوم لأجمع كل ما موجود من الوسائد وبدأت في الكتابة.

استرخيت حيث كل جزء من جسدي كان مسنوداً.. كان الوضع مدهشاً لأحلم بحكاية ما.. وبدأت أنسجها داخل رأسي. خربشت بشكل رائع على الصفحة (لم أزل حتى اليوم لا أهتم بمعالجة المفردة، جربت هذا. أضعت خمسة فصول طيلة السبع أو الثماني سنوات الأخيرة، وقد تكون، ربما، أفضل الفصول الروائية التي كتبتها في حياتي، لكنها ما تزال تحلق، هناك في الأثير).

كنت أكتب، في سرير النوم، لسنوات عديدة.. رغم ما تسببت به من شكاوى زوجتي جراء الحبر الذي لوث الشراشف وآثار أقدامي المتسخة.

فكرنا، زوجتي وأنا، في أن نجد مكاناً آخر للكتابة ليكون بيت الراوي. كلير، زوجتي هي من صممه.

بني البيت على قاعدة تعود لكنيسة قديمة في المنطقة التي نشأت فيها. سقف البيت من القش، ألحقت به حديقة على الطراز الصيني تتيح إطلالة ساحرة على الريف.

هنا وضعت سرير الكتابة. مع باقة ورد عند النافذة هي هدية بمناسبة ذكرى زفافنا السادسة والأربعين. صورة مع كلير وهي تجلس أمام الكومبيوتر في محاولة لفهم خربشاتي أثناء طباعتها لي.. كلير كاتبة ظل ممتازة.

تلوينات الحياة الرافدينية

خضير فليح الزيدي

يقول روجيه باستيد ROGER BASTIDE بخصوص نظرية الألوان.. "أن اللون مهما انشطرت وتعدّدت درجات الضوء المسلّطة عليه يبقى صامتا ومحايدا الا عندما يتعامل معه ذائقة وعقل الآخر".. فالعقل البشري الجمعي في محيط أي مجتمع هو الذي يعطي معنى ودلالة ودرجة قبول واتفاق أو رفض.. أما العين فهي ليست مهمة في الاختيار والنظر الى لون بعينه، وأن ميكانيكية عدسة العين والشعاع فتلك عملية يكون ميكانزم عملها في محض الفيزياء، وعملية ذائقة واختيار الألوان، تتم باتحاد ذائقة الجماعات على قبول ورفض سياق اللون في المكان والزمن المناسب والسياق.. فالرجل الكفيف يعلم جيدا انه منظور من قبل الجماعة، فيشير الى ذويه الى تسمية الألوان المتفق عليها اصطلاحيا دون أن يتعامل معها بصريا أنما يدخل الحس والتخيّل قي حصد نتيجة تسمية وحصره في محيطه، وتحصل تنسيقات اللون لديه على مقبولية الجماعة المحيطة ضمن نظريات التعامل الكليانية مع حسيّة اللون في الاتفاق والرفض والرمزية..

على مستوى اللغة العربية فقد تركت ثلاثة ألوان من ألوان السبعة لقوس قزح ودون أي أثر يذكر لها في معاجمها او في المرادفات ، وهي البنفسجي والبرتقالي والنيلي.. وهي ألوان مهمة في الحياة ضمن نظم فكر الدوائر الاسلامية والعربية في المنطقة.. فيما قفز اللون الأزرق بكل مدلولاته الميثولوجية أو جذوره الرافدينية، لما يمتلكه هذا اللون تحديدا من رمزية تكاد تصل الى القدسية، فهو إذ يمثل لون زرقة السماء وما تختزنه من مكانة رب السموات فيها، كذلك يستخدم هذا اللون في طرد الشر وابعاد الحسد قديما وحديثا،كذلك ان زرقة ماء الأنهر لما للماء من خاصيتي التطهر وغسل الرجس وتبريد فعل الشر وإبطاله.. وسواء نتفق أو نختلف عن هذا المنحى، يبقى اللون الأعم رافديا هو الأزرق العام في كل فنونهم وتطلعاتهم في تمثّلات حضارية وصلت لنا شاخصة الى هذه اللحظة التي نتفحّص اللون الرافديني..

قبل هذا البحث كان لي تصورا سابقا، عن رمزية اللون ودلالته في الحياة العامة والرافدينية خاصة، قبل لحظة الشروع في البحث عن جذور وأصل اللون في الحياة الرافدينية ومديات مرموزاته ودلالاته.. فالمتاحف كمادة ملموسة ومحسوسة ورؤية بصرية للمشاهدة من دون تدخل من عنصر التخييل سواء في موطنها الأصلي أو في المتاحف العالمية أو في مواقعها الآثارية أو مخلفات صورها، قد أعطت نتائج تتوفر فيها علمية النتائج بعد استنطاقها للمجتمع الرافديني وخصوصا في تمظهرات اللون في الحياة العامة خصوصا في مباحث جذوره الحضارية..

أما المباحث الانثو-آثاري يعطي تفسيرا عصريا ومقبولا اتجاه الظاهرة اللونية وأنماط مرموزاتها في الحياة الرافدينية القديمة ضمن السياق التاريخي للظاهرة ومحاولة قراءتها مع المعطيات الآنية حديثا.. وأن طريقة البحث هذه تنتمي بحقيقتها الى النظرية الأنثروبولوجيا الثقافية، وتلك هي نظرية معاصرة في قراءة الآثار والرقم الطينية والمومياءات والنصب الآثارية وما تحتويه المدافن وقبور الملوك والسلاطين.. وهي النظرية التي أثبتت فعاليتها في تفسير ظواهر مجتمعات الحضارة الرافدينية من خلال آثارها والتنقيبات أو الحفريات المستمرة..

أن تلك المعاينة أعطت ثمارها في حقيقة الألوان المفضّلة لدى كوكبة منظومة الآلهة في المعابد الزقورات أثناء طقوس العبادة والمناسبات الدينية بمقاربة فاعلة في تأثيرات الألوان وسحرها.. وكان في معظمها يسوده البياض المشوب بصفرة فاقعة، فيما كانت ألوان ملابس العبيد تستلهم ألوان حائلة من السواد والبرونز، أما عمّال بناء الآجر المفخور والطوب ومادة لصقه القير الأسود في سلالات أور الثلاث يكون اللون الاسود أو الرمادي هما اللونان الطاغيان على ملابس الشغيلة من العبيد، حيث نشطت حركة البناء والعمران في الحضارة السومرية، حيث الضرورة حتمّت ألوان الرماد المأخوذة من جلود الدواب.. أما عامة المزارعين فقد كانت صبغة اللون البنيّة المائلة للعتمة والتي تقترب من لون التراب، المنسوجة من القطن هي السائدة في مملكة أور التاريخية، مثلما هي الوان ملابس عمال الحدادة للسيوف والمناجل يكون اللون الطاغي هو لون البرونز.. وتلك هي نتائج معطيات المشاهدة والتحليلات البصرية والمقارنات بين السلالات والعصور والحقب.. وطبعا ثمة متغيرات تطرأ على بنى اللون في المناسبات المفرحة والحزينة والتي فرزتها البحوث الانثو-آثارية..

لكن النظرية الأنثروبولوجية المتفحصّة للظاهرة، تبيّن أن النظام اللوني وحساسيته في الحياة العامة، تأخذ من الطبيعة " جلود الحيوان وصبغات الزهور والنباتات " وما يطرأ فيزيائيا على أسس اللون المستخدم وأثره الكبير في معظم تفاصيل الحياة اليومية في الحضارة السومرية بشكل كبير وأعم..

ما يرشح بعد هذا من كشوفات لونية تخص الحضارة.. فخاصية الفحص البصري للسياق التاريخي وأهمية المعاينة المباشرة للوقائع واللقى المتحفية أو تلك المتروكة بالعراء، بوصفهما الوثيقة التي نستدل عليهما لتفكيك ماهية اللون الرافديني ومديات فرزه، حيث كانت الآثار المتروكة غائمة اللون الى حد بعيد في تفاصيل طبيعة وصبغة اللون في الحياة الرافدينية ومديات استخداماته آنذاك.. وأغلب الظن أن كل الآثار المتروكة من آنية وقوارير ومستلزمات الحياة يغلب عليها اللون الأزرق والفيروزي.. حيث يشكلا اللونين المذكورين مادة فنيّة جمالية.. بمعنى أن الحياة الرافدينية القديمة تعتمد على موجودات الطبيعة السهلة بعيدا عن كيميائية الصناعات الحديثة والصبغات اللونية الصناعية.. أخلص الى القول أن اللون الرافديني ينشق الى محورين للدراسة الاثنو – آثارية ، المحور الاول هو الوان الخاصة (الآلهة في المعابد) والمحور الآخر هو (العامة في الحياة).. كذلك هناك خاصية اللون المستخدم في لون الازياء وألوان الاثاث والفنون التي وصلت الينا.. أذن تاريخيا يتطور وفق التطور الحضاري وتطور الصناعات ليعم ويدخل في تفاصيل اغلب شؤون الحياة العامة.. ونستطيع أن نخلص أيضا، أن خصوصية الآلهة بكل قدسيتها وشغفها في تكريس هيمنة روحية التسّلط على العبيد من العامة، جعلت تميّزها من خلال ألونها الخاصة وهي بطبيعة الحال تختلف عن ألوان العامة والعبيد والكهنة والعرافين والحكماء.. حيث تبقى فحوصات اللون الرافديني من الدقة ان يؤخذ ضمن السياق التاريخي انثروبولوجيا..

من جانب آخر يرتبط العامة من المجتمع الرافديني القديم بعلاقة سلبية مع اللون الأحمر.. ففي بداية شهر نيسان وظهور كوكب الزهرة بشكل واضح في صفحة السماء يعتبر بادرة شؤم وخوف عن العامة آنذاك كاعتقاد ميثولوجي راسخ من خلال إشارات الطبيعة.. فيعمد على عمل عجينة لونية مستقاة من بعض الأزهار ذات الصبغة الحمراء ووسم وجوه الأطفال وكذلك وجوه الخراف الوليدة بصبغة حمراء دفعا للروح الشريرة التي ترسلها كوكب الزهرة.. لترضى عنهما كوكب الزهرة التي يعتقد أن روح ايانا كانت متلبّسة داخل هذا الكوكب..

أيضا ففي الحياة السومرية ثمة جذور قائمة لغاية اليوم في جذور اللون، تبرز خاصة في الاحتفالات العامة والطقوس العبادية أو الميثولوجية.. مثلا تطغي الصبغة الفيروزية مهيمنة قدسيّة في "اللون الشذري" الأزرق على القباب والمآذن وتزيين المساجد وأبواب البيوت، اللون الذي تجّذر رافديا ووصل الى عصرنا الحالي كلون طارد للأرواح الشريرة وراد الحسد بوجه صاحب الحسد.. كذلك بروز اللون الأخضر لسعف النخيل الذي يوشّح أبواب البيوت في شهر نهاية آذار وبداية نيسان قائمة لغاية اليوم في جنوب العراق في الاحتفالات الدينية أو المناسبات الاجتماعية السعيدة.. يعم الفرح وتتبدل الألوان القائمة بأخرى براقة صفراء أو بيضاء.. حيث يصادف خروج ديموزي (تموز) الراعي أو الفلاح البسيط عشيق الآلهة عشتار وخروجه من العالم الأسفل، حيث يساق عنوة الى العالم السفلي ويبقى نصف سنة هناك، ثم يخرج في النصف الآخر.. وعند خروجه يعم الفرح لدى العامة ويكون اللون الأخضر هو الغالب على زينة الشوارع والمأخوذ من سعف النخيل تحديدا.. فيما يكون اللون الأصفر هو لون الحزن العام بلون الأرض المحصودة من الغلّة.. عندما يعود تموز وهو من صنف العامة وليس من طبقة الآلهة الحاكمة.. فيحزن أبناء سومر القديمة على غيابه لنصف السنة المظلم الكئيب لغيابه.. ترى كم من جذور الرافدينية في الوان الحياة العراقية المعاصرة؟

الجسد بين الحضور والغياب في الفن التشكيلي

- 3 -

علاء مشذوب

في العدد السابق (٥٨) كنا قد أرسينا بعض القواعد الأساسية للفن التشكيلي، مثلما قطعنا شوطا كبيرا في استحواذ الجسد على المساحة البيضاء في لوحات الفنانين، وجاء الآن الدور لتوضيح ركن أساسي آخر منه وهو التخطيط والذي يُعد" نوع من التعبير الفني، يستند بشكل رئيس على الرسم بالقلم الرصاص والفحم، أو السلاية والريشة، ويمتلك درجة لونية (**TONE**) واحدة –أو– درجات لونية قليلة. كما يعتمد التخطيط بشكل جذري، على الخط الخارجي (–**OUT LINE**) أو على تتابع أو توازي أو تشابك الخطوط التي تمنح المشاهد إيحاءات مختلفة وذلك حسب الأسلوب المتبع ونوعية المعالجة الفنية"( )، ويعرفه (برنار برنسون): بأنه خط أو قوس له حركة. ثم يذكر من تجربته الخاصة أنه " يبدو كما لو لم يكن هناك في شيء لا يحيا حياة الخط الخارجي وهو ينزلق ويتلوى بنعومة أو بخشونة، وقد تميز على الدوام بالحيوية والحساسية والتوثب والاندفاع"( ). أما اللون هو صبغة صماء تكتسب معنى من خلال محاكاة الإنسان لها وقد أرتبط بكل مظاهر الحياة وأشكالها، وهو من يضفي عليه المعنى بدلالة اتفاقية.

فان كوخ -حذاء الفلاح

فان كوخ -كرسي اصفر

ويعد التخطيط الركن المكين الذي يتكأ عليه الفن التشكيلي، وانعكس جليا عليه في مراحل تطوره كلها، مثل ساهم بشكل كبير في إظهار الجسد بشكل ملفت للانتباه كحضور، أو إخفاءه كغياب، وهو مثل ما تجلى في المدارس السابقة، فإن تجلى في الفن التعبيري وهو أسلوب فني يمتاز بقوة خاصة في التعبير والتأثير على المشاهد، فاللوحة التعبيرية تتسم ببناء فني ديناميكي وشخصيات واضحة لا ضبابية فيها. وتكون الألوان فيها، عادة مليئة بالشحنات المتوترة ومفعمة بالإحساس الداخلي العنيف، وقد ظهرت هذه الحركة – التعبيري – أو المدرسة، كرد فعل عنيف على نعومة وميوعة المدرسة الانطباعية، ومن أبرز روادها (فان كوخ، غوغان، مونك)، وبعد ذلك بدأت بعض التحولات تطرأ على هذه المدرسة وراحت تتطور في مفاهيمها، وروادها.

وسنحاول أن نسلط الضوء على مفهوم غياب الجسد في هذه المدرسة، من خلال أحدى اللوحات المهمة للرسام (فان كوخ) والذي "صور لنا فيها حذاء الفلاح، لنرى ما الذي جعل من هذا اللوحة عملا فنيا يختلف عن أي إنتاج صناعي آخر، إننا هنا بإزاء حذاء ضخم لا يحيط به شيء ولا يبدو خلفه أي طريق أو أية قطعة من الأرض، ولكننا مع ذلك لو أمعنا النظر الى الجزء الداخلي من الحذاء، لاستطعنا أن نلمح آثار الإعياء مرسومة عليه، ولو أننا نظرنا الى ثقل الحذاء وصلابته لأمكننا أن ندرك أنه حذاء فلاح يشق طريقه كل يوم عبر الحقول بخطى نشيطة أكيدة، وأما نعل الحذاء فإنه يحمل آثار التربة الدسمة الرطبة، وكأنما يشير الى ذلك الطريق الموحش الذي يضرب فيه الفلاح مساء كل يوم عند عودته الى البيت، ولا ريب أن المصور الذي رسم لنا هذا الحذاء لم يكن يريد من ورائه أن يضع بين أيدينا مجرد صورة لموضوع نفعي يستخدمه الفلاح في عمله، بل هو قد أراد أن يعبر من خلال هذه الصورة عن نداء الأرض الصامت، وقلق الفلاح في بحثه عن الطعام، وسروره بالبقاء والانتصار على الحاجة، وقشعريرته بإزاء الموت الذي يتهدد كل حي ...الخ دون أن يخطر على بالنا يوما أنه يستطيع أن يحدثنا عن شيء آخر غير فائدته أو منفعته أو استعماله، ويعد (هيدجر) لوحة فان كوخ (عملا فنيا) إلا أنها كشفت لنا على وجه التحديد عن (حقيقة) الحذاء الذي أعتدنا أن نستخدمه دون أن نقف على صميم (كينونته)، فهو يعني بذلك أن ما يسجله الموضوع الجمالي إنما هو أولا وبالذات إشعاع الحقيقة عبر الموجود الذي يصوره الفنان، ومن هنا فأن (هيدجر) يتخلى عن قيمة (الجمالي) التي أعتاد الفلاسفة نسبتها الى (العمل الفني) لكي ينسبه الى الحقيقة، على نحو ما يدل عليها الأصل الاشتقاقي لهذه الكلمة في اللغة اليونانية، والحقيقة عند اليونان إنما تفتح حين يتكشف من حيث هو كذلك"( ).

وقد تكرر الغياب عند هذا الفنان – فان كوخ - في الكثير من لوحاته، كما في لوحة (كرسي أصفر) والذي يكون فيها الغياب هو المهيمن، فالإنسان هو الغائب الحاضر، وكذلك في لوحة (الأثاث المهدم) أو العتيق، والتي نجد فيها عطر جسد

الإنسان مثلما نلمح بقايا ظله دون أن نراه كوجود مادي، إذ إن الرهان على الغياب في بعض الأحيان يكون أقوى من الحضور، لأنه يترك للإنسان حق التأويل والاجتهاد عند المتلقي وتذوقه لنوع الإنسان وغيابه الحقيقي مقابل وجوده الافتراضي.

وبدأت المدارس الفنية تنحو منحى أكثر تعقيداً لتبعد بنفسها عن الوضوح حتى ليكون الجسد فيها بأشكال وأحجام وأن بدت على غير وضعها الطبيعي إلا أنه عاد من جديد ولكن بأشكال لا تشبه الواقع بعد ان غادره فن التشكيل من الواقعية مرورا بالمدارس المذكورة أعلاه وصولا الى المدرسة التكعيبية والتي يعد كل من (سيزان وبيكاسو) من أشهر روادها.

فقد "أخذ سيزان على عاتقه أن يعيد للتصوير متانة بنيانه وصلابته. فالناس والأشياء التي تؤلف موضوعات أعماله لها صلابة حقيقية، بل إن لها قيمة وكرامة خاصة بها، كما في لوحة (لاعبي الورق) المشهورة، وهو يستخدم اللون من أجل التعبير عن ثقل الأشياء أو تكتلها. ولا يقل عن هذه أهمية ذلك العمق الكبير الذي تتسم به لوحاتٍ سيزان. وهكذا نراه يستطيع أن يخلق تجاوباً إيقاعيا بين العلاقات المكانية التي تمتد من وراء مسطح الصورة، فتنتقل عين المشاهد فوق المسطحات المتداخلة للوحة، ويشعر نتيجة لذلك بالحركة والتوتر. هذه العلاقات (الشكلية) بين الكتل المصورة تؤلف جزءاً من معنى (الشكل ذو دلالة) عند سيزان"( ).

ومن هنا يقول (ستيفن بيير) عن تجربتنا للوحة (الجريكو) المشهورة: في أولٍ مرّة ننظر فيها الى هذه اللوحة قد نلاحظ أساساً السحب المخيمة والتلال، وفي المرّة التالية، الحركة الدينامية للأشكال، وفي المرّة التالية نلاحظ تفصيلات هنا وهناك لم ننتبه إليها من قبل، كالوجوه الصغيرة الصغيرة في أسفل المجرى، وفي المرة التالية، التكرار غير الظاهر للأشكال...الخ.

وبالانتقال الى مدرسة الفن التكعيبي والذي هو أسلوب فني ظهر في فرنسا في بداية القرن العشرين، يقوم على فكرة النظر الى الأشياء من خلال الأجسام الهندسية وخاصة المكعب، فهي تقول بفكرة الحقيقة التامة، التي تأخذ كمالها وأبعادها الكلية، عندما تمتلك ستة وجوه كالمكعب تماماً. ومن أجل الوصول الى هذا الهدف لا بد من تحطيم الشكل الخارجي والصورة المرئية. ومن أبرز روادها (سيزان، بيكاسو).

أهتم سيزان في لوحاته بثلاثية محصورة مابين الهيئة البشرية، والمنظر الطبيعي، والشجرة، مع وجود لوحات تختص بالفاكهة والمزهريات، إلا أن ما يعنينا في رسمه هو الهيئة البشرية (بمعنى الجسد) ففي لوحته (لاعبي الورق) نلحظ إن هناك أربعة أشخاص، ثلاثة يلعبون الورق وهم من الفلاحين البسطاء، وآخر يقف ليرقب لعبهم، إلا إن المسحة الجمالية التي تُظهرها هذه اللوحة تكمن في استخدامه للون من أجل التعبير عن ثقل الأشياء أو تكتلها، إذ إن المركزية التي رتب فيها الأشخاص من خلال جلوسهم على الطاولة، والمشفوع بالعمق الذي يعطيه الشخص الرابع الواقف على بعد منهم، وهذا التنقل الذي تسيح فيه عين المتلقي وهو يتنقل بين الشخوص من أجل الإلمام بخريطة اللوحة ما بين الجالسين والشخص الواقف، تشكل عنده نوعٍ من العلاقات بين الأشكال، التي تخلق عنده نوعاً من التوتر في العلاقات اللونية والمكانية للوحة في الوقت نفسه.

ومن أجل تحليل أحدى لوحات (بيكاسو)، وعلى سبيل المثال لوحة (كوب البيرة) وهي عمل مبكر من أعمال الفترة الزرقاء التي تصور شخصية واحدة في (طيف وحدتها) : "إن التأثير المكاني خاضع

بول سيزان -لاعبي الورق

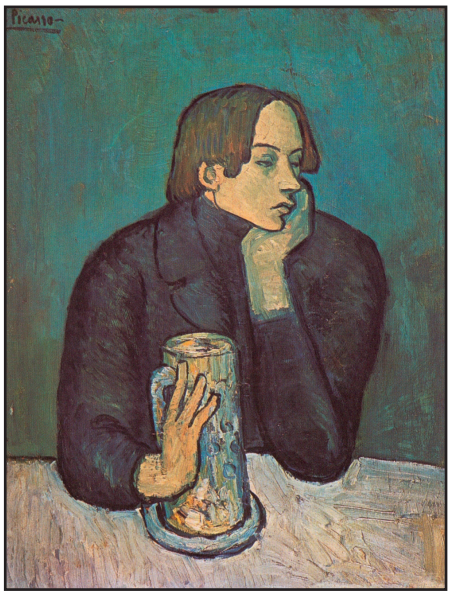

بابلو بيكاسو -كوب البيرة

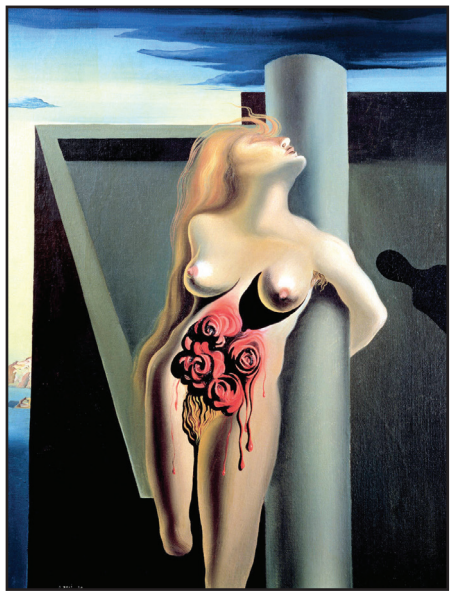

سلفادور دالي -نزيف الورود

لنظام ثنائي الأبعاد تماماً، فالافتقار الزاهد الى كل عوامل الجاذبية التصويرية، والاقتصاد في الوسائل، يؤدي الى تأكيد التعبير عن الحالة الداخلية. أما عن التكوين نفسه، فأن من السمات المميزة بوجه خاص. تلك التشويهات التي يُعد من أسبابها الافتقار الى المنظور المكاني، ولكن هذه التشويهات تخدم الأغراض التعبيرية، كما هي الحال في تلك اليد المرنة، التي لا رسغ لها، والتي تمسك بكوب البيرة. والألوان الوقور - كالسترة الزرقاء الداكنة على خلفية زرقاء، والشعر البني الباهت، والكوب الرمادي - تتمشى تماماً مع الأشكال المتقشفة، وتؤكد التعبير عن النقاء الأصيل"( ).

وفي الختام لابد أن نذكر المدرسة السريالية ودورها في إبراز الجسد الحلم والمهشم، والمقطع، الجسد المشوه، لأنها تعني ككلمة - أي السريالية - فوق الواقع، ولكنها دون الميتا، وهي تتحد بإطار عام ينحصر بمحاولاته التعبير عن عوالم اللاوعي والازدواجية والأحلام والكوابيس، ومن أبرز روادها هما (سلفادور دالي، وماكست أرنست).

ومن الملاحظ إن المدارس/المناهج/الأساليب الفنية التي استعرضت أعلاه حتى آخرها، والتي كان الجسد محورها، كانت قد بدأت بالمحاكاة/ المشابهة، والتي تكاد يتطابق الأصل مع النموذج، كما في النموذج (الموناليزا)، ثم بدء يتطور الموديل/ النموذج كجسد، ليتحول الى بنات أفكار الفنان/ الرسام، وحتى المناظر، لم يعد بعد اليوم يخرج لها الرسام، بل يخلقها من وحي خياله في لحظة وعي وتفكر، ولكن ذلك لم يكن مسك الختام، فالعملية الإبداعية عندما تُحدد بين هلالين سرعان ما تنفلت بإنزياحات ودلائل جديدة، وإذ تنحصر عملية الإبداع في المدارس أعلاه ما بين الطبيعية والانطباعية والواقعية السحرية، حتى أخذت لنفسها منهجا جديدا تجلى بالشكلية ومن ثم التكعيبية، وصولا الى السريالية، والتي لم يغادرها الجسد أبداً، سواء أتمثل ذلك الجسد بالعيان أو من خلال الفراغ الذي يتركه، والإحساس الذي يتولد جراء تلك العملية الجمالية وما يتركه من أثر نفسي ومادي على المتلقي. فإنها كانت في تحول مستمر.

مثلما لا يفوتنا أن نذكر أن أغلب الفنانين هم عصابيين بالضرورة، وعلى سبيل المثال يذكر التراث التشكيلي إن (دافنشي) كان مهوس بالجسد البشري، وتشريحاته العلمية له، والتي تمثلها برسوماته المشهورة ونسبه العلمية سواء في التخطيط أو التشريح، مثلما تُذكر بعض الحكايات عن (فان كوخ) عندما قطع إذنه في أحدى الحانات لغانية عندما علقت عليها، فما كان منه إلا أن قطعها وقدمها لها كهدية، أما (سلفادور دالي)، فأنه عصابي مع سبق الإصرار، وقد تمثل ذلك في أغلب لوحاته، بل أن بعض أفكاره لم تكن لتستوعبها اللوحة فراح يعكسها من خلال السينما كما في فلمه المشهور (الكلب الأندلسي)، ونحن هنا لسنا في صدد سيرة شخصية لأي من الفنانين/ الرسامين، قدر تعلق الأمر بإرهاصاتهم الداخلية تجاه الجسد، والتي انعكست في اللوحات، أو الخارجية التي انعكست على تصرفاتهم الشخصية والعامة.

والمطلع على لوحات (سلفادور دالي) من خلال (الكوكول) يجد إن هناك سمة تكاد تكون عامة في لوحاته، في إنه يبحث عن الولادة الأولى للإنسان، وعشقه الأول الى البدائية المشفوعة بالغياب والتيه وسط المجهول الذي قد يتمثل بالبحر أو الصحراء أو السراب والفراغ الذي يتمثل في عمق لوحاته.

مثلما نجد في أغلب لوحاته الجسد بين مهشم ومقطع، وقد نجد كفا هنا ورأسا في مكان آخر، مثلما قد نجد وجوها مركونة على صحراء، أو أجسادا معلقة، مثلما تمثل الأجساد الهجينة، ما بين جسد الإنسان وجسم الحيوان، إضافة الى الأشكال الهجينة الأخرى مع الطيور، مثلما يغلب على لوحاته الأشكال المركبة، بحيث إن المتلقي يجد في اللوحة الواحدة أكثر من شكل، مثلما حاول أن يحول الصورة الذهنية المتواجدة في الكتب الروائية التي قرأها أو المسرحيات الى لوحات فنية، كما في مسرحية (ماكبث).

إننا إذ نبحر في عالم الفن التشكيلي لنبحث عن عالم الجسد، فإننا لا يمكن أن نتذوق أو نشعر بالجمال إلا من خلال وسيطه التعبيري الذي يتمثل بـ(الخط واللون) ليأخذ التكوينات التي يحتمها طبيعة الموضوع، ومن ثم نوع العلاقة التي تنعكس على المتلقي للوحة والعكس صحيح، فقد يأخذ الارتباط أو الانفعال المنبعث من اللون عدة أنواع من الانفعالات أو العلاقات وحسب تشكيله، ويثير (بَلو)* السؤال عما إذا كانت أمثال هذه الترابطات غير مشروعة من وجهة النظر الجمالية، فيجد ان هناك نوعين من الترابط : أولهما ذلك الذي يكون فيه للترابط (نغمة انفعالية) قوية خاصة به ...في هذه الحالة يستغرق انتباه المشاهد كله تقريباً، فيترتب على ذلك أن "اللون يكاد يفقد تماماً مركزه من الوعي، الذي كان من قبلٍ مهدداً بالخطر. أي أن المشاهد لا يبدي إلا انتباهاً ضئيلا جدا بالون، الذي يقتصر دوره على إثارة الترابط أو الذكرى، ثم يغيب بعد ذلك عن الأعين. أما النوع الثاني من الترابط فيختلف عن ذلك كل الاختلاف. فهو ذلك النوع الذي لا ينفصل فيه الترابط عن إدراك اللون، بل (يندمج أو يذوب) فيه. وهنا تقوى نغمة الإحساس باللون يفضل الترابط، على حين أن المشاهد يحافظ على اللون بحرص في بؤرة الوعي"( ).

ومن ناحية ثانية فإننا نتعامل مع الخط ليس على اساس أنه الخط العربي، وإنما على أساس أنه خط خاص بالرسم " وان نشاط الخط واتجاهه إنما هو واحد من أكثر أمثلة الحركة شيوعاً. مثال ذلك أن (برنسون) يعرّف (الخط الخارجي) بأنه: خط أو قوس له حركة. ثم يذكر من تجربته الخاصة أنه: يبدو كما لو لم يكن هناك في شيء لا يحيا حياة الخط الخارجي والحساسية والتوثب والاندفاع"( ).

وبالرغم من إن عالم الخط واللون، غزيرة بالجمال والحساسية، إلا أننا حاولنا أن نلامس شغافه بطريقة خاصة تتجه نحو الجسد دون إعارة أي أهمية للأشكال الأخرى، في كون الجسد هو محور البحث الذي نحن بصدده.

جون دوس باسوس المهم هو الطريق إلى بغداد

نجم عبدالله

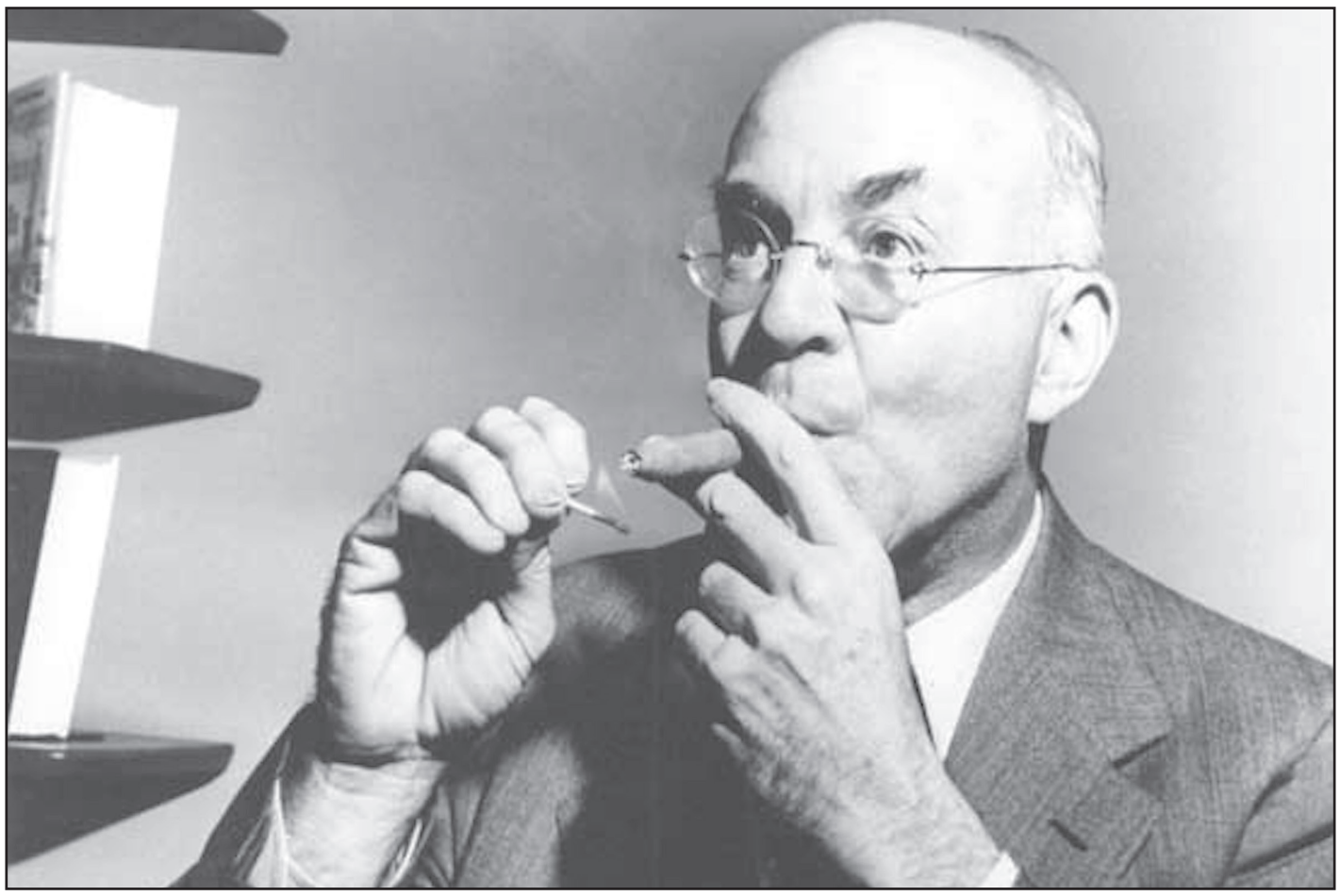

عندما وصل الكاتب الأميركي جون دوس باسوس المولود في شيكاغو من زواج غير شرعي في 14يناير 1896، إلى بغداد، كان له من العمر خمسة وعشرين عاماً، وكان ما يزال في بداية حياته الأدبية، لأنه سيشتهر لاحقاً، في عام 1925، بعد نشره "تحويلة مانهاتن"، وأكثر في أعوام 1930 – 1936، بعد نشره الثلاثية الأميركية. لكن رغم سنه الصغيرة، ورغم حتى ذلك الوقت لم يكتب أكثر من روايتين، رواية مشروع رجل واحد ورواية ثلاثة جنود، إلا أن ما كتبه دوس باسوس في كتابه المعنون "قطار الشرق السريع"، والذي يصف فيه رحلته لتركيا والقوقاز والشرق، عبر عن قدرة الكاتب الذي سيصبح أحد عمالقة الرواية في العالم، كما عبر عن إطلاع واسع، سواء فيما خص بإنطباعاته المتعلقة بالرحلة كلها، مشاهداته مثلاً في أسطنبول التي وصلها في يوليو/ تموز 1921م، والتي كانت كما وصفها مركزاً لوكالات التجسس القادمة من مختلف العالم، حتى أن عدد الغرباء فيها فاق عدد سكانها، أو سواء في التفاصيل التي يقدمها عن المذهب الشيعي، حتى أنه يروي واقعة الطف المشهورة وقصة مقتل الإمام الحسين، وعلاقتها برحلة الحجاج الشيعة القادمين من بلاد فارس ومن كل العالم الشيعي، وهو يصاحبهم صدفة على طول الطريق من مدينة همدان الإيرانية حتى مرقد الإمام الكاظم في بغداد.

ربما هي زيارته الأولى التي سبق له وأن قام بها مع أمه إلى وادي النيل في مصر وحتى الحدود السودانية، وله من العمر ستة عشر عاماً، التي جعلته يملك خبرة مسبقة، ولو قليلة، عن الشرق. أما تطوعه على الجبهة أيام الحرب العالمية الأولى، أثناء إقامته الطويلة في أسبانيا، حيث فاجأه خبر وفاة أبيه، فقد أمده بخبرة قوية لمواجه الصعاب، وإن كان تطوعه ليس كجندي، بل كممرض صحي. وإلا من الصعب تخيل الشجاعة التي تحلى بها هذا الأميركي المثقف الذي أختار هذا الطريق المتعرج لرحلة تبدو شبه مستحيلة في زمانها، من أسطنبول، ثم قطع البحر الأسود في باخرة عبر ترابزون وبطوم، ثم السفر بسيارة فورد قديمة من العاصمة الجورجية تفلس، مروراً بمدن عديدة، الكسندربول، أريفان، ناشيجفان، جُلفا، تبريز، باسميش، شيبلي، ميناه، زندخان، كافين، طهران، قصر شيرين، خانقين ثم بغداد. ولا يهم عدد المدن التي سبقت بغداد، مثلما لا يهم المدن التي ستليها في الرحلة. من يقرأ يوميات دوس باسوس في رحلته "الجهنمية" تلك، التي سجعلها في كتابه "أورينت أكسبريس" (دار نشر هاربيرس وأخوانه نيويورك 1927)، فإنه سيعثر على إسم مدينة واحدة من أسماء كل المدن تلك، كأن الرحلة هي مقدمات وتنويعات لمدينة واحدة، كأن هدف الرحلة هو الوصول في النهاية إلى مدينة واحدة لاغير: بغداد.

بالنسبة لجون دوس باسوس كان ذلك واضحاً، وقبل أن يصل بغداد. فذات صباح، وفي صحن إحدى الخانات التي أشتهرت في ذلك الوقت، كمكان ينام فيه الحجاج والمسافرون في طريقهم من إيران إلى بغداد، في مكان قريب من قصر شيرين الحدودية، يستيقظ كمسافر. الخان فارغ. جميع الحجاج غادروا. وكان عليه هو وسائقه أن يقطعا في ذلك اليوم ممراً جبلياً ضخماً، يرتفع 1300 متراً قبل أن ينحدر بتعرجاته بإتجاه وادي الرافدين. في الطريق إلى الممر، يستحوذ عليه وللمرة الأولى طوال رحلته شعور غريب. "كنت مضطرباً ومتضايقاً. أسماء المدن التي لم أزرها كلها، تطنّ حول أذني مثل البعوض، كابول، حرّات، خوروسان، أصفهان، شيراز. على عكس بغداد التي لا يمكن مساواتها بذلك أبداً. بغداد فيها نغمة ألمانية، تُذكر بمقالة عن الشرق الأوسط في صحيفة الوطن "ناسيون"، وبـ"الحدائق الشتوية". "آخ، هذه الليالي العربية الملونة بلون البونبون"، يكتب دوس باسوس واصفاً بغداد، ثم يستشهد بمقطع شعري، لايشير إلى مصدره، "والسيدات في الحريم كانت تعرف ما تلبس في بغداد الشرق في الماضي".

ولكن من أين تأتي تلك القوة التي يملكها مكان كان قد أحتل منذ سنوات أهمية خاصة في برلين ولندن ونيويورك؟ لماذا التوجه إلى بغداد التي دخلت الخطط السرية لأركان الجيش الألمانية؟ لماذا كان جون دوس باسوس، وهو في ذلك ليس الأول، مصراً على رمي نفسه عند ضفاف دجلة الذي يقطع المدينة في المنتصف؟ ولماذا يتحمل واحد مثله عناء الرحلة "الجهنمية " تلك، في شهر آب/أغسطس، الذي هو حار أصلا، لكن في النصف الثاني منه، زمن الرحلة، تصل درجات الحرارة إلى حدها الأعلى، حيث يطلق المرء عليها هناك "طباخات الرطب"، وقت نضوج التمر؟ هل يكفي أن يغامر المرء بكل ذلك، لأن قريباً من بغداد، جنوبها بكيلومترات قريبة، عند ضفاف النهرين، دجلة والفرات، يُعرض على السواح، خرائب جنة عدن، وشجرة التين، التي أخذ من ورقها آدم وحواء الورقتين اللتين غطا بهما عورتيهما؟

ربما الإضطراب الذي تحدث عنه دوس باسوس، له علاقة بجرعة من الشك أستحوذت عليه، أن يرى بغداد أخرى غير تلك التي شكل صورتها قبل زيارتها. كانت المنطقة كلها في تغير. كان عام 1921، العام الذي قام به في رحلته هو عام التحولات وتشكل الخرائط الجديدة في الشرق الأوسط. كانت مرت سبع سنوات على نهاية الحرب العالمية الأولى التي أنتهت بهزيمة الدولة العثمانية وحلفائها، الألمان والروس. وكان تقسيم أراضي الرجل المريض على الفوسفور، بين الحلفاء ما زال غير منتهياً. أما الدولة العراقية التي سيزور عاصمتها، فقد تأسست للتو، وإن شكلياً، فالملك الذي نصبه الإنكليز، الملك فيصل الأول، غير عراقي، جلبته بريطانيا من شبه الجزيرة العربية ليحكم العراق. الحاكم الفعلي في بغداد هو البريطاني سير كوكس. المنطقة كلها في غليان، لأن الإنكليز الذين وعدوا العرب بدولة عربية مستقلة، مقابل مساعدتهم بطرد الأتراك من الأراضي العربية، لم يفوا بوعودهم. ثورات في كل مكان. العراقيون سبق وأن ثاروا عام 1920، ضد الإنكليز. ثورتهم أنتهت إلى الفشل. لكن المعارضة للإنكليز ما تزال موجودة. المنطقة هذه، وبالذات بلاد وادي الرافدين، لم تعرف الهدوء يوماً. على مر تاريخها عاشت الإضطرابات والتحولات. كل ذلك عرفه الشاب دوس باسوس، قبل دخوله إلى بغداد.

سلفاً وعلى الحدود الإيرانية العراقية سجل دوس باسوس، كيف أن طريق همدان، الذي هو ليس سلم حجري ضخم يقود إلى العراق، هو أحد الشوارع التي سارت عليها كل الجيوش الكبيرة في التاريخ. حجرها بال ومتآكل من خطوات أجيال لا تُحصى من الجنود والحيوانات. في كل مكان على جدران الصخور خلد الناس أنفسهم. ثقل تاريخي مميز يجثم على الوديان والصخور هذه، على مجاري الأنهار الحجرية. في الكهوف المرددة للصدى هذه يتحدث الناس عن سماعهم صيحات العلامين

وجنود الملك العظيم، داريوش، ملك الملوك، تتخللها لعنات التوميس (البريطانيين) وحوافر خيول جنود الخيّالة الروس. ليس ذلك وحسب، بل حتى ما حدث في السنوات الأخيرة من تاريخ المنطقة هذه، عندما عادت بلوى الماضي مرات عديدة هذه المرة على شكل هيئة ثلاثة جيوش لا تعرف الرحمة. فخلال الحرب العالمية الأولى، قاتل في البداية الأتراك والروس ضد بعض هنا، ثم جاء البريطانيون عام 1918، في حملتهم المعروفة من أجل الأستحواذ على منابع النفط وعبدوا الطريق، بكلمة واحدةٍ بالضبط، جددوها. وللمفارقة هذا ما قاله طبعاً، ألا يجد المرء في طريقه خاناً أو قرية، وبأن تفترس الصحراء، ساحة غزوات التاريخ الكبيرة، كل الأراضي الزراعية، وبأن المرء خلال رحلة يوم كامل في سيارة فورد مهلهلة لا يعثر على شيء، بإستثناء (وبكثير من الحظ) طاسة من حليب حامض في خيمة أكراد بدو.

أية رحلة تلك إذن، والشاب دوس باسوس لا يستسلم، لا يهدَّه عناء الطريق. رحلاته الأخرى كانت فندق خمس نجوم، مقارنة في رحلته هذه. كان قد عاد بالتأكيد، لو حصلت متاعب في طريقه إلى مدينة أخرى. لكنه هنا في طريقه إلى بغداد، لا تهمه المخاطر، لا يهمه الجوع وعناء الطريق. لا يهمه حر شهر آب اللاهب. آب اللّهاب، الذي يحرق المسمار بالباب. آب طباخات الطرب (مثلان شعبيان عراقيان) كل شيء يهون، في سبيل الوصول إلى بغداد، الجنة الموعودة، التي تحتل صورتها الرأس؟

"الشرق والغرب والشمال والجنوب كانوا حضورات قوية وبلا جسم، مثل الروح، التي يتخيلها المرء خلف الستارة، في أيام الطفولة. الاتجاهات الأربعة للسماء كانوا وسائل تعذيب، حفرت بأحدهم مثل سيوف الماتير المؤلمة. لماذا الشرق هو مختلف عن الغرب، لماذا المرء سعيد في الجنوب وبائس في الشمال؟" كل تلك التأملات والأفكار تأتي جون باسوس في طريقه إلى بغداد، كأن الشرق الذي يتحدث عنه للمرة الأولى، مركزه بغداد. أو كأن الطريق الذي قطعه كله، هو في النهاية تنويعة للطريق الذي يقطعه الحجاج الشيعة. الجموع التي تمشي على الطريق بإتجاه مراقدها المقدسة في العراق، وهو، دوس باسوس، الذي يجلس في سيارة فورد مهلهلة مع سائقه الأرمني، بإتجاه مكانه المقدس أيضاً: بغداد.

عدد لا يُحصى من الذين أستهواهم الشرق من الرحّالة والكتّاب والرسامين الغربيين، كانوا يبدأون فعلاً رحلتهم إلى هذا الشرق، لكن ما أن تواجههم بعض الصعوبات، أو تستهويهم بعض الأمور، حتى تنتهي تلك الرحلات، عملياً، في الموانيء، رغم أن الكتابة عن الشرق، في مذكراتهم، لا تتوقف. لكن أغلب ما سيُكتب في النهاية لا يأتي نتيجة التجربة أو المشاهدة، إنما هو في النهاية ليس أكثر من كلمات مبعثرة ألتقطت من أفواه السكارى والدجالين، أو من أفواه بسطاء الناس، ليعود أحد هؤلاء الرحالة والكتّاب والرسامون "بثروة" من المعلومات عن "الشرق الغامض، الخطر، المتعصب الذي رآه".

لكن جون دوس باسوس لا يستسلم، مهما إصطدم بصعوبات. كل شيء يهون، طالما الهدف، هو الوصول إلى بغداد. أنه سعيد. سعادته لا تفوقها إلا سعادة الجموع هذه التي شاركته الطريق، الحجاج الشيعة هؤلاء، القادمون من بلاد فارس ومن كل العالم الشيعي. أنهم مثله، وكلما راقبهم، كلما تطلع بوجوههم، كلما وجد نفسه فيهم. "أنه وقت جيد للسفر". كما يقول، (هلو: أكثر 45 درجة الحرارة!)، "الأنهر جافة، الممرات الجبلية لم تُقطع، والسهل العراقي سيُبَرِّد تدريجيا". ورغم أنه لا يعرف من أين يغذون أنفسهم، لأنه يستطيع هو ومرافقه الأرمني أن يقطعا الطريق بسيارتهما الفضية،

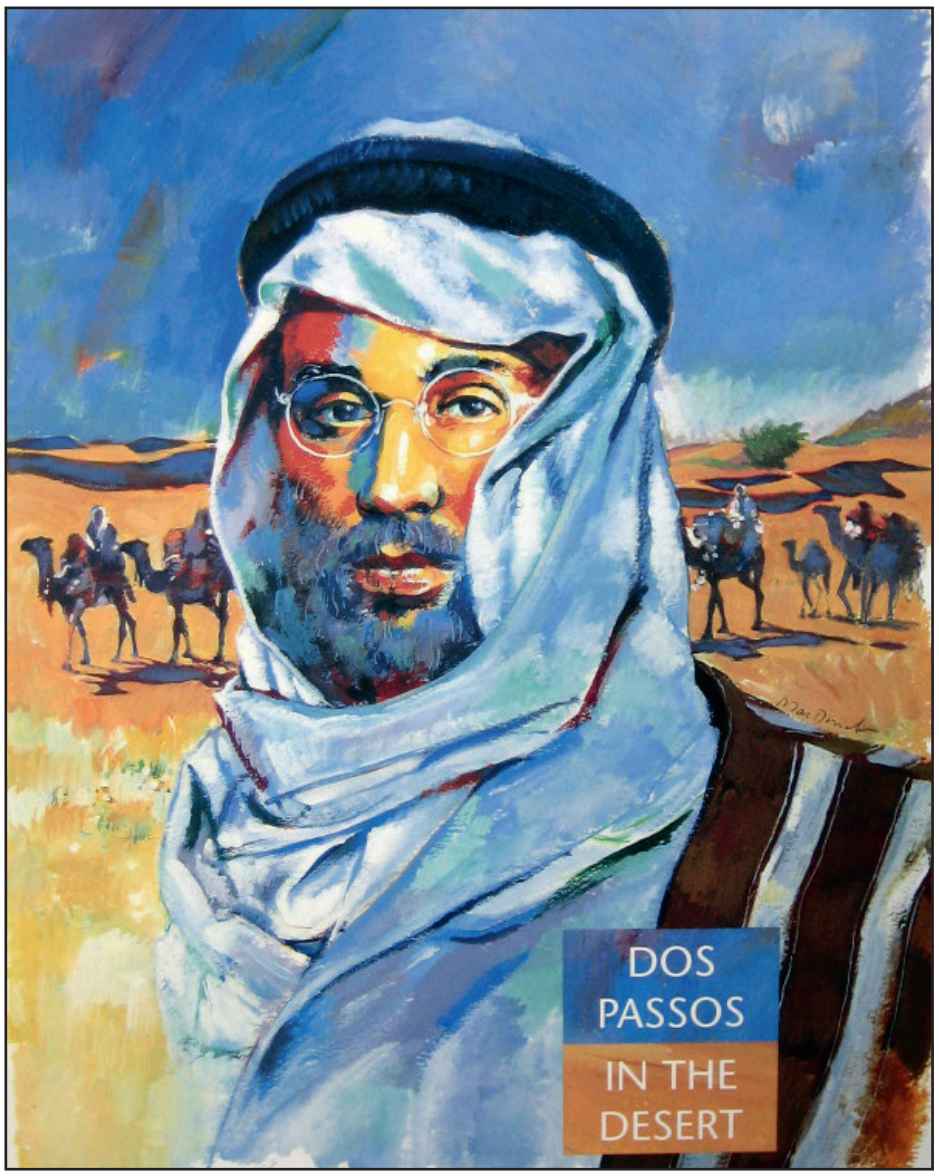

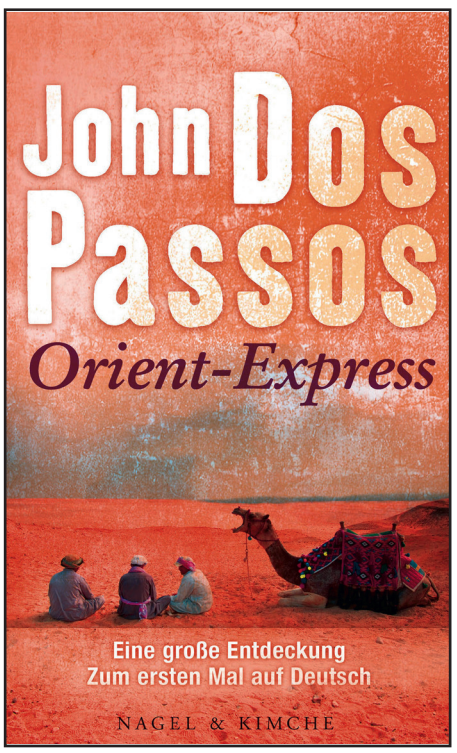

ويمكنهما الحديث عن الحظ، إذا حصلا على وجبة غذاء واحدة في اليوم. "العوائل المغبرة والسعيدة هذه هي في طريقها سيراً على الأقدام لزيارة مراقدهم المقدسة في العراق، في الكاظمية وسامراء والنجف وكربلاء، لقبور الأئمة، رجال لا غبار عليهم، أرواحهم تعود لله. الأغنياء يركبون الخيول والبغال، النساء على حدب الجمال، فيما ركب الفقراء على الحمير أو ساروا على الأقدام، قوافل بتوابيت بيضاء، فيها موتى، لدفنها في الأراضي المقدسة". طوال اليوم يمران بهم بسيارتهما الفورد ويلطخونهما بالوحل أو يعطونهما الغبار لكي يأكلونه. لكن لا أحد منهم يشكو. أنهم سعداء. والمشهد هذا بالذات يجعله يتذكر سعادته. فهو الآخر حاج في طريقه إلى مرقده المقدس: بغداد. أنه مثلهم. الهدف هو المهم، وليس ما سيكون عليه. وهذا ما يسفر في رأي، أن دوس باسوس الذي كان كريماً بالحديث عن إنطباعاته، في وصفه الأشياء والناس، وخاصة في وصفه كل التفاصيل الصغيرة وجمعه للقصص، مهما كانت صغيرة، أن دوس باسوس هذا سيكون بخيلاً، أسلوبه مبتسر حالما يدخل بغداد؟ إذ لا يعرف عن بغداد هنا، غير:

أولاً: البار الأميركي الذي جلس عنده الكاتب على ضفاف دجلة، يأكل البطاطا المقلية ويشرب البيرة اليابانية المثلجة، ويتحدث مع أجانب آخرين، أحدهم تاجر أميركي بدين الجثة قادم من أليونيز من أجل تجارة المصارين، ثم من وقت إلى آخر يقطع الجلسة تلك، صفير تحويلة ترامواي أو طقطقة عربات حمولة عند النهر، فيهتفون "سكة بغداد برلين"، ليسخروا من مشروع ألمانيا الذي أراد ربط "شاه ملاي وليم خان باشا" (سخرية من فيلهلم الثاني) مع أراضيه في الشرق والذي أنتهى إلى الفشل! "ما يزال حتى اليوم يراود الذهن الرؤية الجهنمية هذه لعجلات مشتعلة، تربط الهند بالقسطنطينية، فيينا، زيوريخ، برلين وأوست أندة، مثل ملاك شرس وجبار فوق الرؤوس، بينما نجلس عند نهر دجلة في الظلام، نشرب البيرة اليابانية المثلجة، ونأكل البطاطا المقلية التي يقليها عربي على نار من عثوق النخيل".

ثانياً: زيارة لبابل الواقعة 90 كيلومتراً جنوب بغداد، حيث وصلت البيرة الألمانية، قبل أن يصل خط "بغداد برلين"، وحيث يشعر دوس باسوس، بعد شربه قنينتين من البيرة البافارية، ماركة "ميونيخ للتصدير"، كيف أن فتيات الألهة البابلية عشتار الجميلات ينشدن جميعاً تحت النخيل، "دويتشلاند، ديوتشلاند أوبيرآل"، ألمانيا، ألمانيا، فوق الجميع! "حسناً، إذا كان الأمل فقط بوصول سكة بغداد برلين هو الذي وراء ذلك، بأن تجري بيرة ميونيخ على التلال المترية لبابل..... لكن ذلك مصدره نبي عبري"، يكتب دوس باسوس الذي لم يخف من سخريته على ألمانيا في أكثر من مرة في الكتاب!

ثالثاً: لقاء "الشيخ الفلاني" في بغداد وبصورة سرية، والذي سيحمل دوس باسوس ما يشبه بيان إعلان الإستقلال، بعد أن يمدح "شيخ واشنطن" والإستقلال الأميركي، "الشيخ الأميركي الكبير واشنطن، كتب قبل سنوات كتاباً أعلن فيه إستقلال أميركا من الإنكليز"، قال له الشيخ العراقي، وهو يحيّ هذا الكتاب، ويتمنى أن يحصل العرب (ليس العراق وحده) على إستقلالهم، لأن "مستر ويلسون" الإنكليزي، الذي هو "شيخ كبير" أيضاً، كان قد صرح قبل الحرب في باريس، ومن ضمن إعلانه بنقاطه الأربعة عشر، بأن كل الأمم حرة، مستقلة، ومتساوية. "الأمة العربية، أمة المؤمنين من بغداد حتى دمشق، التي ساعدت الإنكليز والفرنسيين، في طرد المستبد العثماني، تريد وحسب كلمات ويلسن السلام مع كل العالم جميعاً. رغم ذلك لم يتصرف الحلفاء وفقاً لأقوال مستر ويلسون ولا طبقاً للمباديء التي قالها مستر واشنطن. وهذا ليس أمر جيد. الفرنسيون ألقوا الوطنيين العرب في سجون دمشق، والإنكليز لم يفوا بكلمتهم، وهم الآن مشغولون باستعباد العراقيين. الإنكليز يعتقدون أنهم يستطيعون حكم العرب من بغداد إلى دمشق مثلما عاملوا الهند. سيعترفون بأنفسهم، بأن العرب مصقولون من خشب صلب. أنهم حاولوا من خلال تثبيت ما يُسمى بالملكيات خداع الشعب، ولا يعلمون أن أبسط حمال في السوق يعرف، بأن فيصل وعبدالله وحتى ملك الحجاز نفسه، رغم أن المراقد المقدسة تحت عهدته، يعتمدون فقط على السلاح الإنكليزي. الأميركي يجب أن يخبر مواطنيه، بأن شعب العراق سيواصل كفاحه من أجل حريته ومن أجل المباديء التي سبق وأن أعلنها شيخ واشنطن ومستر ويلسون. الثورة الأخيرة فشلت، لأنها كانت سيئة التحضير. المرة القادمة ..."، هنا يكتب دوس باسوس، كيف أن صوت الشيخ أصبح أقوى.

بغداد التي سيختصرها دوس باسوس بصفتها "ملاك من العجلات"، هي غير بغداد التي تغنى بها طوال الرحلة. كأن ما همه في المقام الأول، هو الطريق إليها. قبل زيارته للشيخ الفلاني في بغداد، في طريقه إليه وهو يسير في الأزقة القديمة والضيقة، متثائباً، يسير أمامه دليله، أحد مساعدي الشيخ المعني بالزيارة، يكتب دوس باسوس: "في بغداد، كما في روما، تُنظم الزيارات في ساعات الصباح الأولى".

إذن تلك هي بغداد، في النتيجة. ماذا قيل قديماً؟ كل الطرق تؤدي إلى روما. بالنسبة للشاب الأميركي جون دوس باسوس، كانت كل الطرق تؤدي إلى بغداد. وإلا لما قام برحلته الطويلة والمتعرجة تلك؟

اصدرات

مائة قصيدة كولومبية

مختارات من الشعر الكولومبي المعاصر

إعداد وترجمة وتقديم:

د. محسن الرملي